CC BY

الخِطاب المقدِّماتيّ عند الناقد عزالدين إسماعيل

رائد فؤاد طالب الرديني*

تأريخ التقديم: 2020/9/25 تأريخ القبول: 2020/11/23

المستخلص:

شغلت العتبات النصية حيزا كبيرا في الدرس النقدي منذ أن تنأولها جيرار جنيت في كتابه العتبات، إذ شكلت منطلقا لدراسة النصوص في أنواعها المختلفة سواء الإبداعية منها ام النقدية ، وقد برز ذلك عبر المقاربات التي سعت إلى دراسة ما مثّل تلك العتبات من العنوانات والمقدمات وبيانات النشر وغيرها من العتبات ، ودراسة المقدمات لا زالت تفتقر إلى الدراسات والمقاربات التحليلية – ولا سيما المقدمات النقدية – التي تشكل عتبة لكثير من الخطابات النقدية ، والذين تنأولوا المقدمات انصبت جهودهم على دراسة المقدمات الإبداعية ، وفي بعض من تلك الجهود ذهبت إلى دراسة المقدمات النقدية ، أما دراسة مقدمات الترجمات العربية للمصنفات النقدية الغربية فإنها لم تظفر بدراسات تحليلية إلا ما ندر وفي نطاق ضيق جدا ، وهو ما نسعى إلى مقاربته في بحثنا هذا الذي يتناول مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته عبر ما قدمه من قضايا وطروحات في هذه المقدمات ، محاولين الوقوف عند ثلاث مقدمات للدراسات التي ترجمها عن الانجليزية .

الكلمات المفتاحية : الخطاب ، العتبات ، المقدمات ، النقد ، عزالدين إسماعيل .

توطئة :

شغلت العتبات النصية حيزا كبيرا في الدرس النقدي منذ أن تناولها جيرار جنيت في كتابه العتبات ، إذ شكلت منطلقا لدراسة النصوص في أنواعها المختلفة سواء الإبداعية منها ام النقدية ، وقد برز ذلك عبر المقاربات التي سعت إلى دراسة ما مثّل تلك العتبات من العنوانات والمقدمات وبيانات النشر وغيرها من العتبات .... ، في

* أستاذ مساعد/قسم اللغة العربية/ كلية الآداب / جامعة البصرة .

محاولة للاقتراب من عمق النصوص ومحاولة استنطاقها ومحاورتها ورسم صورة للعلاقة بين هذه النصوص وعتباتها والسعي نحو إضاءة السياق الذي تشكلت منه .

وإذا كانت عتبة العنوان – وغيرها من العتبات – قد أخذت استحقاقها من الدراسة والتحليل في النصوص الإبداعية ، فان المقدمات لا زالت تفتقر إلى الدراسات والمقاربات – ولا سيما المقدمات النقدية – التي تشكل عتبة – لا يستهان بها – لكثير من الخطابات النقدية ، لاسيما انها تمثل الحجر الأساس الذي ينطلق منه الناقد نحو مصنفه النقدي .

والذين تناولوا المقدمات انصبت جهودهم على دراسة المقدمات الإبداعية وفي بعض من تلك الجهود ذهبت إلى دراسة المقدمات النقدية ، أما دراسة مقدمات الترجمات العربية للمصنفات النقدية الغربية – وهو ما نسعى لمقاربته في بحثنا هذا الذي يتناول مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته – فتكاد تكون منعدمة إلا ما ندر* ، لاسيما حين تكون هذه المقدمات (الترجمية) تشكل عتبة بارزة عبر ما تقدمه من قضايا وطروحات لا يمكن تجاهلها ، وقد أخذت حيزا لا يستهان به من صفحات الترجمة .

* * *

تشكل العتبات النصية المنطلق الأول للدخول إلى متن النص ، بما تشكله من أهمية بارزة في فهم المتن ومؤلفه وسياق كتابته والعناصر المحيطة به ، وقد ((بدأت عناية النقد الغربي الحديث تنصب على دراسة عتبات النص وتحليل عناصرها وبنياتها مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، إذ ظهرت مجموعة من المقاربات التي اهتمت بدراستها وتتبعها ، ولئن كانت جميعها اتفقت على التمييز بين مستويين من الخطاب في أي مؤلف ، هما النص وعتباته ، فقد أبرزت أنهما مكونان يختلفان في الدرجة والطبيعة أيضا ، لان كلا منهما يتميز عن الآخر بوظيفته الخاصة ، وشكل اشتغاله ، وطبيعة تمظهره وموقعه في فضاء النص ، ونوعية الحمولة

* يستثنى من ذلك مقالة الدكتورة نادية هناوي سعدون الموسومة بـــ(نقد النقد في التقديم للكتب النقدية المترجمة) ، المنشورة في جريد الدستور الاردنية ، 27 تشرين الاول / اكتوبر ، 2017

إلايديولوجية التي تنطوي عليها))[1] ، ومن هنا غدت العتبات النصية بناء دلاليا يتكئ على مجموعة من المقومات التي تسعى إلى الكشف عن متن النص وصاحبه ، كما انها تحاول الوصول إلى مقصدية العمل ومساءلته عبر بعده التداولي الذي يكشف عن أبعاده السياقية المنتجة .

ان العتبات النصية الممهدة والمحيطة للمتن كـــ(العنوانات ، وإلاهداءات ، والمقدمات، وكلمات الناشر، واسم المؤلف ، والأيقونة ، ودار النشر ،.....)، إنما تشكل

((نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الذي يحفزه أو يحيط به ، بل انه يؤدي دورا مهما في نوعية القراءة وتوجيهها))[2] ، فـــ ((قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص ، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها ، فكذلك لا يمكننا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته ، لأنها تقوم من بين ما تقوم به بدور الوشاية والبوح ، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في ضمان قراءة سليمة للكتاب))[3] أو للنص ، مما جعل جيرار جنيت يؤكد أن النص الموازي في كل أشكاله ((خطاب ... مساعد وموجه لخدمة أشياء أخرى التي تشكل وعي كينونته ، وهو النص))[4] ، لهذا كانت هذه العتبات وسيلة لا غنى عنها في إضاءة النص ومحاولة فهمه وتشكله عبر تداخلاته المتعددة وتعالقاته المختلفة وملابساته السياقية ضمن بنية دلالية منتجة يشترك فيها المتلقي عبر مساءلته للمعاني والمضامين الدالة .

---

(1)عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر ، يوسف الادريسي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 2015 : 55

(2) مدخل الى عتبات النص : دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، عبد الرزاق بلال ، افريقيا الشرق المغرب – الدار البيضاء ، افريقيا الشرق بيروت – لبنان ، 2000 : 16

(3) المصدر نفسه : 23–24

(4) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) ، عبد الحق بلعابد ، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت ، منشورات الاختلاف – الجزائر ، ط : 1 ، 2008 : 57

وعلى الرغم من الإختلافات البنيوية والشكلية بين العتبات النصية وتفاوت درجات حضورها في المؤلفات وأشكال ارتباطها بمتونها ، إلا أنها تشكل مجتمعة حدا فاصلا بين الصمت والكلام ، النص والعالم ، ولحظة اتصال بين المرسل(المؤلف) ومتلقي النص (القارئ) وبوصفها بداية ، ومن ثمة أتت ضرورة عتبات النص لكونها تمثل الجسر الذي يسلك عبره المتلقي إلى أغوار النص ، وهي بالنظر إلى استهلالها تنتج خطابا حوله ، يعرف به ويغري بقراءته، ويقترح الطريقة المناسبة لذلك[1]، إنها ترسم استراتيجية فعل التلقي من القارئ بما تتكئ عليه من عمق يطمح إلى إضاءة النص وتجلية دلالته الخفية.

وتعد المقدمات إحدى تجليات النص الموازي ، وعنصرا أساسيا من مكونات العتبات النصية ، إذ إن العناية بالمقدمة يندرج بوصفها ((أولا وقبل كل شيء نصا موازيا يمتلك عدة وظائف واهداف تعين الغرض من التأليف وطريقة تنظيمه ، هكذا يكتسب نص المقدمة قضاياه الخاصة مثلما يكتسب جانبا خصبا من جوانب التعبير التي تسمح للمؤلف بتحديد جملة من المفاهيم والإشكاليات التي يعرض لها في تناوله وتحليله فيصبح نص المقدمة متعالقا مع النص المؤلف وحاملا للعديد من القرائن الموجهة للقراءة والمساعدة على الفهم والاستيعاب))[2] ، مما يجعلها عتبة لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها من المتلقي والمنشئ على حد سواء ، وهذا ما يجعلها تأخذ أهمية بارزة في النص / المتن ، بوصفها خطابا موجها للمتلقي يرسم خارطة للتعامل مع النص المؤلَف بما تقوم به من وظيفة تداولية توجيهية تضمن قراءة سليمة للنص المؤلَف ، كما تسعى إلى إعطاء تصور أولي لجوهر العمل ، ومنطلقا أساسيا يعين القارئ على فك الشفرات واكتشاف الدلالات الثاوية في أعماق النص ، فالمقدمة((ممارسة مرتبطة بوجود المؤلف غير منفصلة عنه ، توجد حول النص وتدور في فضاء المصنف وليس خارجه ، وهي بذلك جزء من النص تمده بقوة

(1) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : 57

(2) عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الحجمري ، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 1 ، 1996: 43

قصدية وظيفية تصير ملازمة له ... ، إن المقدمة خطاب موجه نحو النص والقارئ قصد بناء ، أو تحديد نمط من القراءة المتوخاة ، وهذه الوظيفة التوجيهية جزء من استراتيجية المقدم في تحديد علاقة القارئ بالنص))[1] ، وهذا ما يعني أن المقدمة ممارسة معرفية ، تصدر من المؤلف وتتجه نحو القارئ لتكشف له أسس التعامل مع النص ، وهو ما يؤدي من ثمَّ إلى قراءة منتجة تضيء النص وتعين المتلقي على فهم مضامينه وفك ما قد يختفي من دلالات قصدها المؤلف .

المقدمة .. المفهوم والدلالة :

جاء في المعجم الوسيط : المقدمة ((من كلِّ شيء أوله ، ومن الجيش طائف منه تسير أمامه ، ومنه يقال: مقدمة الكتاب ، ومقدمة الكلام))[2] ، ومقدمة الشيء : أوله وضع المسألة في مقدمة اهتماماته ... ، مقدمة الكتاب : ما يقدمه المؤلِّف من بيانات حول موضوعه توحي مقدِّمات الكتب بما تحتويه ، مقدِّمة الخُطْبة : كلام استهلاليّ يبدأ به الخطيبُ خطبتَه [3] ، نستنتج مما سبق أن المقدمة لغة هي ما يُبتدأ به الكلام ، وما يكون في البداية .

والمفهوم الاصطلاحي لا يبتعد عن الدلالة اللغوية للمقدمة ، فالمقدمة في اصطلاح بعض الدراسين ((جزء من كتاب ، طائفة من كلامه ، من كلام مؤلفه ، لها ارتباط بموضوع الكتاب وبالغاية منه ، وظيفتها أن تقدم ما يُنتفع به في فَهم الكتاب))[4] ، ويعرفها بعضهم بأنها: ((مقال يقدِّم به المؤلِّف أهمَّ المبادئ والمناهج

(1) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص ، احمد المنادي ، مجلة علامات ، ج : 61 ، مج : 16 ، جمادي الاول 1428 ه ، مايو 2007 : 144 – 145

(2) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004 : 720

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 2008 : مادة : قدم : 1786/1

(4) مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع ، عباس ارحيلة ، المؤسسة العربيّة للفكر والإبداع ، ط : 2 ، 2017: 58

التي سيقوم عليها مؤلَّفُه فيما بعد))[1] ، وقد تأخذ المقدمة تسمية (الفصل) في بعض المعاجم ، فالمقدمة هي ((الفصل الأول من الكتاب يتناول بشيء من إلاجمال الأسس التي يقوم عليها الكتاب ، والتي بدونها لن يفهم تخطيط تأليفه ، والمألوف أن تكون المقدمة في طول فصل تقريبا تمييزا لها عن التمهيد السابق عليها))[2] ، وهكذا نجد أن المقدمة عتبة الكتاب ، بدايته ، فصله الأول ، بيانه الذي يكشف فيه مؤلفه خطة كتابه وطريقة قراءة نتاجه .

ولهذا فإننا إذا ما أردنا أن ننظر إلى الخطاب المقدماتي ، في صورة موحية لكل دلالاته ومفهوماته إلاصطلاحية فإنه يتحدد في النص الذي يسبق الكتاب ، يقوم بكتابته المؤلف أو من ينوب عنه في تقديم الكتاب ، وتكون وظيفته التعريف بكل ما له علاقة بموضوع الدراسة وحيثياتها ، كما تطمح أن تقدم إشهارا بالكتاب من حيث أهميته المعرفية وطريقة قراءته التي من شأنها تقديم تصور للمتلقي بما يضمن قراءة سليمة ومنتجة لمتن الكتاب .

والمقدمات ليست على وتيرة واحدة ، بل قد تتعدد وتختلف باختلاف مؤلفيها ، ((فمقدمة المؤلف غير مقدمة الناقد ، وهي تختلف عن مقدمة المحقق ، ومقدمة المترجم اختلافها عن مقدمة المشرف أو الناشر ، وطبيعة الكتاب ونوع اختصاصه من العوامل التي تجعل هذه المقدمة تختلف عن تلك ، ففرق بين مقدمة الكتاب المدرسي ومقدمة الكتاب إلابداعي ، وفرق بين مقدمة الكتاب السياحي ومقدمة الكتاب العلمي ، بل إن المقدمات لتختلف طبيعتها داخل النمط الواحد من الخطاب))[3] ، وهذا ما يجعل وظائف المقدمات تختلف باختلاف تلك المقدمات ، بل إن المقدمة

(1) عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي ، كمال عرفات نبهان، مركز دراسات الحضارة الاسلامية وادارة المشروعات الخاصة بمكتبة الاسكندرية ، 2015 : 173

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط : 2 ، 1984: 380

(3) في تحليل الخطاب ، د. حاتم عبيد ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، ط : 1 ، 2013: 59-60

الواحدة تكون لها أكثر من وظيفة ، وهذه الوظائف تتنوع بتنوع مقصدية الكاتب لمقدمته .

فالمقدمة بوصفها نصا موازيا ((يمتلك عدة وظائف وأهداف تعين الغرض من التأليف وطريقة تنظيمه ، هكذا يكتسب نص المقدمة قضاياه الخاصة مثلما يكتسب جانبا خصبا من جوانب التعبير التي تسمح للمؤلف بتحديد جملة من المفاهيم وإلاشكاليات التي يعرض لها في تناوله وتحليله فيصبح نص المقدمة متعالقا مع النص المؤلف وحاملا للعديد من القرائن الموجهة للقراءة والمساعدة على الفهم وإلاستيعاب))[1] ، مما يجعلها عتبة لا يمكن تجازوها أو تجاهلها من المتلقي والمنشئ على حد سواء.

وقد اهتمت الثقافات العالمية قديما وحديثا بالمقدمات وبدورها في إضاءة النص المؤلَف أو في وظيفتها التوجيهية من الكاتب ، فقد ((كان الخطاب المقدماتي حاضرا بشكل مكثف في الثقافة العربية القديمة في المؤلفات النقدية باعتباره سنة واجبة ، وضرورة لها شروطها ومواصفاتها التي تختلف كليا عن شروط المقدمات الحديثة فيما كان الخطاب التاريخي كما عرف عند ابن خلدون والطبري والمسعودي وباقي المؤرخين يتلبس شكل المدخل))[2] ، ولم يكن حضور المقدمات في الثقافة العربية مرتهنا بهذه السنّة الجارية أو العادة المتبعة بقدر ما كانت تؤدي وظيفة تتسق والخطاب التأليفي ، فقد كانت هذه المقدمات ((تنتج خطابا واصفا لمتن الكتاب تبين فيه طبيعة موضوعه ، وتحدد مجاله المعرفي ، وتكشف دواعي الكاتب الذاتية والموضوعية لتأليفه ، وتشير أحيانا إلى المنطلقات النظرية الموجهة لتصورات أحكامه ، وإلى الضوابط المنهجية التي تتحكم في طرق عرضها وتحليلها والدفاع عنها ، كما كانت تتضمن خطاطة مختصرة لأبرز مواد الكتاب وأهم أبوابه وفصوله ،

---

(1) عتبات النص البنية والدلالة : 43

(2) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل – دراسات في الرواية العربية ، د.شعيب حليفي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 1 ، 2005 : 53 ، وينظر : الخطاب المقدماتي ، د. جميل حمداوي ، صحيفة المثقف ، ع : 2251 ، 2012/11/3 – http://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama

وذلك بهدف وضع القارئ المفترض للنص أو المستهدف به في المدار المعرفي للمتن ، وإلى تهيئته نفسيا وذهنيا لكي يجيد فهمه ويحسن تلقيه))[1] ، وهذا ما يجعلنا نرى أن العرب كانوا على دراية كبيرة بما يتمتع به الخطاب المقدماتي من اهمية في مجال التأليف .

ولهذ فقد أهتم العرب بالقواعد الأساسية لتلك المقدمات عبر تحديد خصائصها البنيوية ووظائفها التداولية ، فأكدوا أن المتون لا تتحقق كينونتها النصية دون وجود عناصر التصدير أو الاستفتاح أو التقديم بوصفها جملة من المكونات الأساس التي تنتج خطابا عن النص يتقدمه ليصفه للقارئ ويعرفه بموضوعه وبأهميته العلمية والمنهجية ، ويرشده إلى الطريقة المناسبة بقراءته والاستفادة منه ، وعلى الرغم من أن أغلب تلك التصورات لم تكن تستهدف إنتاج آليات منهجية في تحليل النصوص وقراءتها ، وظلت محكومة بغايات تعليمية وتوجيهية للكتاب الناشئين ، إلا أنها تقاطعت مع العديد من التصورات والأحكام التي انتهت إليها الدراسات الحديثة لعتبات النص[2] ، وهو ما يعطي اصالة الفكر العربي في ميدان البحث العلمي ، حتى وإن لم يصل إلى ما وصلت إليه مناهج البحث الحديثة ، إذ يكفي أن نعرف أن العرب لم يكونوا بعيدين عن الارتقاء إلى مستويات متميزة في هذا الجانب .

أما في العصر الحديث فيرى جيرار جنيت أن المقدمة لم تظهر – حسب رأيه – إلا في القرن السادس عشر الميلادي ، ومن ثم فإن ما كتب من مقدمات قبل هذه المدة يشكل جزءا من المتن لذا تسمى هذه الإفتتاحية الداخلية بالمقدمة المدمجة أو المقدمة المتصلة بمعنى أن المقدمة هي تلك الأسطر الأولى أو الصفحات الأولى من المتن أو النص الرئيس ، ولم تظهر المقدمة في أوروبا بمفهومها الحقيقي إلا مع ظهور الكتاب المطبوع ، فأصبحت المقدمة خطابا مستقلا بذاته يتميز طباعة وموقعا عن النص الداخلي أو المتن الرئيس ، ولهذا كثرت المقدمات في الثقافة الغربية في

(1) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : 47

(2) المصدر نفسه : 51

القرنين التاسع عشر والعشرين ذلك بشكل موسع ومطرد[1] ، مما جعلها مجالا خصبا لدراسات كثيرة ، إذ غدت حافلة بأسئلة معرفية تفتح آفاق النص المدروس ، وتنكشف عبرها الكثير من الدلالات والرموز الحافة التي تنتظر من يستنطقها ، ((إن المشروع النقدي الذي تتبدى ملامحه في خطاب المقدمة ما هو إلا جزء من مشروع فكري وحضاري عام ، يسعى عبره هذا الناقد أو ذاك إلى أن يجسد انخراطه في صلب إشكاليات عصره وإسهامه في تقديم إجابات ممكنة عنها ، ولهذا تصبح عملية القراءة والتفسير والتأويل مشروطة بربط المستوى النقدي بهذا النسق المعرفي العام الذي تشكله المقدمة مدخله الحقيقي)) [2] .

وإذا كانت دراسة خطاب المقدمات في النقد الحديث قد توجهت أساسا نحو المقدمات للنصوص الإبداعية ، فإن دراسة المقدمات النقدية إذ لم تحظ بإلاهتمام الكبير ، وعلى الرغم من بعض الدراسات النقدية في هذا الجانب ، إلا أن دراسة مقدمات الترجمات العربية للمؤلفات النقدية كانت شبه مغيبة ، لاسيما ان قسما من هذه المقدمات التي وضعها المترجمون لترجماتهم النقدية كانت مهيئة لدراستها وإعادة قراءتها وتقييمها بما حوته من قضايا نقدية وإشكالات منهجية ولاسيما عندما نكون إزاء ناقد مثل الدكتور عزالدين إسماعيل ومقدماته المطوّلة للكتب الثلاثة التي ترجمها عن الانكليزية .

* * *

الترجمة وخطاب المقدمات عند الناقد عزالدين إسماعيل :

تتميز الترجمة بأنها نقطة تواصل بين الثقافات والحضارات ومعبر معرفي تمتزج فيه نتاج البشرية عبر مختلف اللغات العالمية ، كما أن الترجمة تعد البؤرة الثقافية المشكلة للحوار الحضاري المشترك ، واداة مؤثرة في تطور اللغة القومية ، ومحفزة لنشاطات تواصلية تسهم في بناء الإنسان وتشكيل الوعي وصناعة المعرفة ، وقد

(1) الخطاب المقدماتي ، د. جميل حمداوي ، صحيفة المثقف ، ع : 2251 ، 2012/11/3

(2) مدخل الى عتبات النص : 99-100

تكون الترجمة أداة سلبية حين تؤدي إلى هيمنة ثقافية من الآخر فتتحول الترجمة إلى شكل من أشكال الهيمنة الاستعمارية أو العولمية .

ولهذا عُدّت الترجمة أبرز الأوجه التي يقاس عبرها حجم التطور المعرفي لدى الشعوب والدول ، بما تقدمه من إثراء ثقافي معبر عن حركة علمية تبادلية بين الأنا والآخر ، تعكس صورة للتلاقح بين حضارات متعددة ، كما تعطي تصورا لحوار حضاري خلاق بين الأفكار والمضامين الإنسانية ، ((فالترجمة عملية حوار بين المؤلف الذي أنتج النص الأصلي وبين المترجم الذي يعيد إنتاجه على الرغم من بُعد الشقة الزمانية أو المكانية بينهما ، والترجمة كذلك عملية حوار بين لغتين ... كونها حواراً بين ثقافتين ، ويؤدي كل حوّار فعّال إلى تغيير وتبديل وتعديل في مواقف المتحاورين))[1] ، لاسيما ان الترجمة المعرفية تكون أكثر تغلغلا في الثقافة الوافدة وأعمق تأثيرا ، ذلك أن فعل الترجمة المعرفية يكتسي ((بعدا حواريا مع ثقافة الآخر، ويقدم نفسه – كمشروع إبستيمولوجي ومنهجي ، عبره يتم خلق قناة حوارية مع النماذج المعرفية الأخرى والإستفادة من معطياتها الفكرية والمفاهيمية والمنهجية ، ولهذا كثيرا ما تتحكم في هذه الترجمة المقاربة التبسيطية ؛ لأنها تتجه نحو أفق معرفي محدد غايته ترجمة مؤلفات تعريفية بمذاهب أدبية ومدارس نقدية))[2] ، ومن هنا وجب على فعل الترجمة مراعاة هذا السياق المعرفي حتى تكون عملية التلاقح الثقافي سائرة في نسق تواصلي منتج .

وترجمة أي مؤلَف نشاط معرفي تسبقه مقدمة تكون بمثابة المدخل أو العتبة الأولى لهذه الترجمة ، يسعى عبرها المترجم إلى إعطاء تصور عام عن الدراسة

---

(1) اثر الترجمة في التفاعل الثقافي ، د. علي القاسمي ، موقع : عتيدة ، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات ،
http://www.atida.org/index.php?option=com_content&view=article&id=173:2013-03-30-08-34-27&catid=32:-2007&Itemid=6

(2) سؤال الترجمة : من نقطة التحويل إلى دائرة المثاقفة ، عبد الرحمن التمارة ، مجلة فكر ونقد المغربية ، ع : 86
https://www.aljabriabed.net/n86_04tamarai.htm

المترجمة ومنهجها ، فضلا عن أهمية المادة المترجمة وسياق ترجمتها ومنهجية المؤلف في طروحاته ، بما يجعلها تدخل في حوار مع النص المؤلَف عبر طرح بعض القضايا التي تمهد أو تتشابك مع قضايا الدراسة المترجمة عبر مساءلة ومطارحة لما هو موجود من القضايا التي طرحها وسعى إلى معالجتها صاحب النص الأصلي/المؤلِف .

وهذه المقدمات من طبيعتها انها مثل مقدمات الكتب والدراسات العامة أي أنها لا تتجاوز عددا من الصفحات ، فضلا عن أنها تكون مختصرة ومقتضبة ولا تطرح قضايا متشعبة ، إلا أن قسما من المترجمين استحالت مقدماتهم إلى دراسات مستقلة تسبق النص المترجم .

فالناقد عزالدين إسماعيل من الذين برزوا وتميزوا في ترجماتهم بهذه المقدمات المطولة التي تعد في حد ذاتها دراسات مستقلة تسبق النص المترجم ، وهذا ما تميزت به مقدماته في ترجماته الثلاث التي يمكن أن نصفها بإنها أطروحة تفتح أفقا جديدا أمام الخطاب النقدي العربي عبر مثاقفة معرفية عبر نقل ثلاث دراسات عن اللغة الانجليزية ، وقد جاءت هذه الدراسات في وقتها وضمن سياقها التاريخي لتلبي حاجة معرفية وأكاديمية ترمي إلى بلورة مشروع نقدي يطمح إلى بناء رؤية نقدية عربية تستفيد من الطروحات النقدية الغربية ، وقد أكد الناقد في حوار له بمجلة ثقافات أن ((الغاية من ترجمة هذه الدراسات في أنه جهد يصب في مجال عملية التحديث في الفكر العربي النقدي ، ولم تكن هذه الترجمات مجرد شهوة للترجمة أو رغبة أو اضافة عمل آخر إلى الأعمال التي قدمها كتابة وتفكيرا وإنشاء على المستوى النظري والتطبيقي ، بل كان إحساسا بأهمية هذه المناطق من الفكر النقدي الغربي وأهميتها بالنسبة لنا ، وأن هناك ضرورة تتطلب أن يكون بين أيدينا نمط التفكير الغربي في هذه الموضوعات كي نحدد موقعنا من الأشياء))[1] ، ومن هنا كان

(1) حوار مع الدكتور عزالدين إسماعيل ، هيئة تحرير مجلة ثقافات البحرينية ع : 1 ، شتاء 2002 : 122

لمقدمات الناقد عزالدين إسماعيل مبرراتها المشروعة في كتابتها التي تتسق وهذه الأهمية في اختيار ثلاثة موضوعات كان لها وقع كبير في الساحة النقدية .

وأولى ترجمات الناقد عزالدين إسماعيل في هذا السياق كتاب (نظرية التلقي مقدمة نقدية) لمؤلفه روبرت هولب ، الصادر في طبعته الأولى في السعودية عن النادي الأدبي الثقافي بجدة سنة 1994 م ، إذ جاءت مقدمته في ست عشرة صفحة ، أما الكتاب الثاني الذي ترجمه الناقد فكان (فرديناند دي سوسير .. أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) لمؤلفه جوناثان كلر الصادر عن المكتبة الأكاديمية في مصر سنة 2000 م ، وقد جاءت مقدمة الناقد لهذه الترجمة في سبع وأربعين صفحة ، وبعدها بسنة أي في 2001 م صدر الكتاب الثالث (مقدمة في نظريات الخطاب) لمؤلفته ديان مكدونيل ، وقد جاءت مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل لهذه الترجمة في ستين صفحة .

وستكون دراستنا لهذه المقدمات الثلاث عبر عدة محاور رئيسة ، الأول : الخطاب المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل بين المقدمة الذاتية والمقدمة الغيرية ، أما المحور الثاني فسيكون في البناء المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل ، والمحور الثالث سيدرس الوظيفة المقدماتية عند الناقد عزالدين إسماعيل .

* * *

أولاً : مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل بين المقدمة الذاتية والمقدمة الغيرية :

يميز الدارسون بين أنواع مختلفة للمقدمات ، وعبر مستويات متعددة أيضا ، فأما من ناحية مؤلف المقدمات فهناك المقدمة الذاتية التي يكتبها المؤلف نفسه لدراسته ، وهناك المقدمة الغيرية التي يكتبها غير المؤلف ، وهذل جعل بعض الدارسين ينظرون إلى مؤلف المقدمة على أنه موضوع إشكالي ومعقد ((لإن أشكال مؤلفي المقدمة ، حقيقين كانوا أم وهميين متعددة ، فهناك المؤلف المباشر الحقيقي اي صاحب المقدمة والمتن معا ، وفي هذه الحال غالبا ما يهيمن ضمير (أنا) المتكلم الذي يعتبر خاصية من مميزات خطاب المقدمة لإنها – أي المقدمة – أكثر نزوعا إلى الخطاب القائم على ضمير المتكلم (أنا) فالمؤلف يفرض نفسه باعتباره كاتبا وأسلوبا

يؤسس منه صورة أقرب لما يعتقده حقيقة ، وبهذا المعنى فالمقدمة بشكل عام خطاب أستاذية ، غير أن هناك حالات تكتب فيها المقدمة على لسان أشخاص آخرين غير المؤلف وفي غالب الأحيان تكون تلك الشخصيات من صنع المؤلف الحقيقي))[1] ، وأما من ناحية طبيعة المقدمة فهناك أيضا أنواع مختلفة ومتعددة ، فالباحث بلال عبد الرزاق يرى أنه لابد من التمييز بين مستويين في المقدمة ، مقدمة يمكن تسميتها بمقدمة علم وأخرى نسميها مقدمة التأليف ، علما أن إمكانية تحول المقدمة الثانية إلى المستوى الأول واردة باستمرار ، فمقدمة العلم موضوعها تعرف مبدئي على مضامين هذا العلم ومشكلاته ومنهج بحثه ، وممكن تكون تلخيصا قصيرا للمؤلَّف ، أما مقدمة التأليف فهي كل نص سابق عن متنه أو لاحق له قصد تقديمه للقارئ ومده بمنهج صاحبه وخطته في التأليف وقصده منه ، وكثيرا ما تدخل في علاقة مع المتن المقدم له[2] .

فضلا عن ذلك فإن بعض الدراسين قسم المقدمات إلى ثلاثة أنماط وذلك استنادا إلى طبيعة مضمون المقدمة ، إذ يرى د. عبد الكبير الخطيبي أنه ((يمكن التمييز بإجمال بين ثلاثة أنماط من التقديم :

1- مقدمة تقريظية في غالب الأحيان لا تضيف شيئا إلى الكتاب المقدَّم ، ويمكنها أن تكون تجارية وإشهارية فقط ، إنها مقدمة تتوخى أن توجه القارئ وأن تشرطه ، وأن تعطيه حكما مسبقا على قراءته .

2- مقدمة نقدية تدخل في حوار مع الكتاب المقدم ، تحلله لفائدتها الخاصة مع مساءلته وعدم الاستسلام لما يقدمه ، ومن الضروري أن يكون هذا النقد متنبها بالقدر الكافي الذي يتيح إبراز أصالة الكاتب ، وأن يكون متباعدا بما يكفي لكي لا يختلط صوته بصوت الكتاب .

3- مقدمة موازية للنص ، وتكون مستقلة تماما عنه ، إنها اذاً مقدمة جد غير مباشرة ، هذه المقدمة ، مع احتفاظها بحريتها ، يتحتم عليها أن توجه انتباهها

(1) مدخل الى عتبات النص : 48

(2) مدخل الى عتبات النص : 37

للتيمات والأسئلة المطروحة ، فلا نص الكاتب يجب ان يُلحق بصاحب التقديم ، ولا المقدمة تعود إلى الكاتب ، فكل واحد منهما يعمل لحسابه الخاص))[1]

والسؤال الذي يفرض نفسه : أين نضع مقدمات الناقد عز الدين إسماعيل لترجماته الثلاث ضمن هذه التصنيفات ؟

ما نراه أن مقدمات ناقدنا لم تكن مقدمات ذاتية خالصة أو غيرية خالصة ، وإنما هي مقدمات لكتب ترجمها ، ومن ثم فإن هذه المقدمات تكتسي لباسين في الوقت نفسه :

– مقدمات غيرية يكتبها الناقد عزالدين إسماعيل لدراسات ليست من مؤلفاته ، لاسيما ان هذه المقدمات تأخذ – في جانب من جوانبها – طابع الاستعراض التقديمي لهذه الدراسات .

– مقدمات ذاتية ، وذلك استنادا إلى أن الترجمة التي يقدمها المترجم إنما هي فعل ذاتي ، وأن المقدمة تطمح أن تقدم عرضا لهذا المجهود الذي قام به المترجم فضلا عن عرضه لمنهجه في هذه الترجمة وما يكتبه من قضايا تخص المؤلف الحقيقي ، وما تتضمنه الدراسة المترجمة أيضا من طروحات ، وهذا ما يجعلها تأخذ طابعا ذاتيا .

نتيجة لما سبق فإن مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته كانت مزيجا من المقدمات الغيرية / الذاتية ، وذلك لما اتسمت به من صفات جعلت من هذه المقدمات تتبدى لنا في هذه الصورة ، ففضلا عن الاستعراض التلخيصي والتعريف بالمؤلف والكتاب ، الذي قام به عزالدين إسماعيل والذي يتناسب مع خطاب المقدمات الغيرية ، فإنه قام – فضلا عن ذلك – في تقديم مدخل رَسَمَ من عبره خارطة للقضايا التي طرحها المؤلف الأصلي للكتاب محاولا الدخول في حوار مع قضايا الكتاب ومستعرضا في الوقت نفسه ما تم طرحه من إشكاليات نقدية وفكرية وفلسفية ومساءلتها ، في

(1) من تقديم د. عبد الكبير الخطيبي لكتاب الادب والغرابة لعبد الفتاح كيليطو ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط : 3 ، 2006 : 7-8

مسعى للمترجم في أن يكون له صوت مستقل في مقدمته بعيدا عن إملاءات المؤلف الحقيقي ، وهذا تحديدا ما نجده في مقدمات الكتابين الأخيرين اللذين ترجمهما الناقد عزالدين إسماعيل .

* * *

ثانياً : البناء المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل :

تفاوتت طبيعة الخطاب المقدماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل في ترجماته الثلاث ، ومن ثم اختلف شكل المقدمات وبناؤها من مقدمة إلى أخرى ولاسيما في ترجمته الأولى التي صدرت في وقت سابق عن الترجمتين التاليتين لها ، وهذا الإختلاف راجع إلى طبيعة الزمن وموضوع الدراسة فضلا عن طبيعة المترجم نفسه الذي يخضع للسياقات الثقافية التي تجعله في تطور دائم وتبدل مستمر ، ولهذا جاءت المقدمات الثلاث متفاوتة .

1- تقع مقدمة الكتاب الأول (نظرية التلقي مقدمة نقدية) في ست عشرة صفحة – مثلما تقدم – وقد توزعت هذه الصفحات في ستة محاور ، تناول المحور الأول تعريفا بمؤلف الكتاب (روبرت هولب) ، ثم تعريفا بنظرية التلقي في صورة بسيطة ، محاولا المترجم أن يفرق بين نظرية التلقي في النقد الألماني ، ونقد استجابة القارئ في النقد الأمريكي ، ثم يعرض تفاصيل هذه الإشكالية كما عرضها المؤلف ، أما المحاور الثاني والثالث والرابع والخامس فيمضي ناقدنا المترجم بملخص استعراضي لما تناوله المؤلف من فصول كتابه دون الدخول في مناقشة القضايا المطروحة أو مساءلتها أو إضافة أي شيء لها ، محاولا استعمال عبارات كمثل (يرى المؤلف .. يمضي المؤلف يبحث .. وقف المؤلف عند .. ثم ينتقل المؤلف .. ثم ينهي المؤلف .. ومن ثم يعمد مؤلف الكتاب .... إلخ) ، وهذا الاستعراض التلخيصي يذكرنا بما كان يقوم به الناقد عزالدين إسماعيل في مجلة فصول حين كان رئيسا لتحريرها منذ سنة 1980 وحتى 1991 ، في افتتاحية كل عدد (أما قبل) حيث عُرِف بملخصه الاستعراضي لبحوث المجلة ومقالاتها .

أما المحور السادس فإن المترجم خصصه في الكلام عن أهمية ترجمة هذا الكتاب الذي يعد المرجع المعتمد لكل من يُعنى بهذه النظرية في الفكر الألماني ، محاولا الإشارة إلى أهمية نظرية التلقي في نقدنا العربي وأن تراثنا انطوى على رؤى وأفكار تنتظم حول نشاط التلقي الأدبي أو الفني ، ليختم هذا المحور بالكلام عن الصعوبات التي قد تواجه القارئ في أثناء قراءته لهذه الترجمة منبها أن تلك الصعوبة لا ترجع إلى الترجمة فحسب وإنما إلى طبيعة الكتاب نفسه .

ومن المَلاحظ التي يمكن أن نسجلها في بناء هذه المقدمة وشكلها ، أن المقدمة خلت تماما من أي إحالات إلى مصادر أو هوامش ، وهذا يؤكد الجانب التلخيصي للمقدمة ، فضلا عن ذلك وهو الأهم ان الناقد عزالدين إسماعيل لم يعنون مقدمته بـــ(المقدمة) وإنما وضع عنوانا هو أقرب ما يكون إلى الخطاب التقديمي أو الاستعراضي للترجمة (هذا الكتاب) ، لاسيما ان العبارة التي كتبت في الأعلى والتي رافقت صفحات المقدمة كانت (نظرية التلقي) عنوان الكتاب المترجم نفسه ، إلا أننا نفاجأ في الفقرة الأخيرة من المحور السادس من المقدمة بقوله : ((وربما ساعد المخطط العام لحركة الفكر في الكتاب كما عرضته هذه المقدمة على جعل القارئ مطمئنا ...))[1] ، وفي هذا دلالة على إقرار المترجم بإن ما قام به هو إنما يصنف ضمن عمل المقدمات .

2- أما الكتاب الثاني المترجم (فرديناند دي سوسير .. أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) لمؤلفه جوناثان كلر ، فقد جاءت مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل له في ست وأربعين صفحة ، موزعة على خمسة وعشرين محورا وخاتمة ، تناول المحور الأول تعريفا بالمؤلف وبإصداراته المؤلفة وتصحيحا لعنوان الكتاب – وهذا ما سنتناوله في الوظيفة المقدماتية فيما بعد – ، فضلا عن ذلك أشار إلى سبب اختيار ترجمته لمادة الكتاب منوها أن الكتاب قد صدر بعدة طبعات وأن المترجم اختار الطبعة الأخيرة (المراجَعة) من المؤلف الأصلي للكتاب ، أما المحاور الأخر والبالغ عددها

(1) مقدمة كتاب نظرية التلقي مقدمة نقدية ، روبرت هولب ، ترجمة : د. عزالدين إسماعيل ، النادي الادبي الثقافي ، جدة ، ط : 1 ، 1994 : 24

أربعة وعشرون فقد كانت عرضا تلخيصيا لمادة الكتاب ، إلا أننا نلحظ أن الناقد المترجم عزالدين إسماعيل في مقدمة هذا الكتاب لم يكتف بعرضه التلخيصي فقط لمادة هذا الكتاب مثلما سار في الكتاب السابق مكتفيا بـــ(قال المؤلف ، ورأى المؤلف ، ويشير المؤلف ، عرض المؤلف ..... ألخ) ، وإنما حاول أن يتدخل في عرضه للمادة النقدية ناقدا وقارئا ، مؤيدا ومعارضا ، مضيفا ومرجحا ، وقد جاءت تدخلات الناقد في قراءته النقدية في هذه المقدمة عبر لغته وعباراته التي تتسم بطابع القراءة المبنية على النقد والمراجعة والمساءلة النقدية .

أما المحور الأخير لمقدمة الناقد عزالدين إسماعيل التي كانت بدون ترقيم فقد أشار إلى ضرورة هذه المقدمة وأنها جاءت مكملة لقراءة الكتاب ، وبذلك يتضح لنا الإطار البنائي لمقدمة الناقد عزالدين إسماعيل لكتاب (فرديناند دي سوسير .. أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) التي جاءت مختلفة عن مقدمته السابقة ، محاولا أن يعطي لهذه المقدمة شكل مراجعة نقدية لا تكتفي فقط بالاستعراض التلخيصي وانما تسعى نحو الحوار والمساءلة.

وقبل أن ننتقل لمقدمة الكتاب الثالث فإن من الضروري الإشارة إلى أن الناقد عزالدين إسماعيل سعى إلى أن يعطي لمقدمته هذه (اسم مقدمة) وهو ما لم نلحظه في مقدمته السابقة ، إذ نجد عنوان مقدمته جاء بـــ(مقدمة المترجم) ، فضلا عن ذلك نقرأ عباراته التي تقر بأن ما يكتبه لا يخرج عن كونه مقدمة لهذه الترجمة كمثل (في مقدمتنا هذه ، من حق القارئ أن يقرأ هذه المقدمة ....)

3- تأتي ترجمة الناقد عزالدين إسماعيل لكتاب (مقدمة في نظريات الخطاب) لمؤلفته ديان مكدونيل امتدادا لترجمته للكتابين السابقين ، فقد جاءت هذه المقدمة في تسع وخمسين صفحة ، إلا أنها خلت من الفقرات المرقمة ، حيث أنه بنى مقدمته على أربعة محاور .

المحور الأول : وقد سماه (التمهيد) وقد جاء في صفحتين اثنتين ، فقد أشار إلى مقدمتيه السابقتين لهذا الكتاب المتمثلة في مقدمته لترجمة كتاب (نظرية التلقي) ومقدمة كتاب (فرديناند دوسوسير) ، حيث تحدث عن الأسباب التي جعلته يكتب هاتين المقدميتن (الإضافيتين) كما سماها للترجمتين السابقتين .

المحور الثاني : اختص هذا المحور في استعراض تلخيصي لمادة الكتاب موزعة على فقرات عدة في ثماني عشرة صفحة ، متبعا ناقدنُا المترجمُ الأسلوبَ نفسَه الذي جاء في المقدمتين السابقتين من تلخيص لفصول الكتاب وعرضه ، مستخدما العبارات نفسها (في مقدمة المؤلفة لكتابها ... ، كما تقول المؤلفة ... ، وهنا تقرر المؤلفة ..... إلخ) ، وهذا الاستعراض التلخيصي في المحور الثاني لا يعني أن المترجم ابتعد عن التدخل في عرضه لمتن الكتاب ، بل سعى أحيانا إلى تأييد المؤلفة في بعض الطروحات ، وأحيانا أخرى في توضيح يحتاجه القارئ حتى لا يبتعد عمّا تريده المؤلفة ، فضلا عن ذلك فإنه يحاول – في اثناء عرضه التلخيصي – أن يرجئ الخوض في تفاصيل متعلقة ببعض القضايا التي تطرحها المؤلفة إلى المحور الثالث ، بل إن الناقد في بعض الفقرات لا يتنظر أن يرجئ حديثه عن بعض القضايا المتعلقة للمحور الثالث بل يسارع ليضيف أو يناقش أو يساءل المؤلفة .

المحور الثالث : هذا المحور هو في حقيقته دراسة نقدية وعرض استقصائي لمصطلح الخطاب ونظريته ، في جانب مستقل عما طرحته مؤلفة الكتاب ، وفي سعي من الناقد عزالدين إسماعيل إلى رسم صورة متكاملة لمصطلح الخطاب ونظريته ، مكمّلا لما تقدمت به المؤلفة ومتمما لطروحاتها التي عرضها الناقد في تلخيصه ، فقد جاء هذا المحور في خمس وثلاثين صفحة تناول الناقد المترجم عدة قضايا ذات صلة بمصطلح الخطاب ونظريته ، وهي كالآتي : مصطلح الخطاب والنقاد الجدد ، الألسنية والخطاب ، الخطاب والبلاغة ، تاريخية الخطاب وإلارشيف الحضاري ، إنتاج الخطاب وتشكيل الذات ، النظم والقواعد المتعلقة بالخطاب ، الخطاب والمعرفة والقوة .

المحور الرابع : وهو الفقرة الأخيرة من مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل ، وهذا المحور ليس فيه إضافة للمقدمة ، بقدر ما هو تسويغ من الناقد المترجم لإطالته في هذه المقدمة ، إذ يعتذر للقارئ هذه إلاطالة ، ويقدم مسوغاته ، وهو ما يدخل في وظيفة المقدمة .

بقيت مسألة تتعلق بالبناء المقدماتي لهذا الكتاب ، وهي أن مصطلح (المقدمة) لم يكن ثابتا فيها ، إذ تراوح بين مصطلح (التقديم) ومصطلح (المقدمة) ، فالعنوان الرئيس للمقدمة في بداية الكتاب وكما ورد أيضا في الفهرسة كان (تقديم بقلم

المترجم) ، أما في الفقرة الأخيرة من مقدمته فقد قال : (وبعد ، فربما طالت هذه المقدمة بعض الشيء) ، وعلى الرغم من أن أكثر الدارسين لم يفرقوا بين المصطلحين ، إلا أن هناك من يفرق بينهما ، فالمقدمة تختلف بعض الشيء عن التقديم ، في أن المقدمة ((هي تلك التي يكتبها الكاتب نفسه للتعريف بعمله ، وشرح الظروف التي عايشها في أثناء الكتابة ، وبيان ما هدف إليه من وراء ما كتب ، وربما يُنصب نفسه ناقداً ، فيستطرد في التفسير والحكم على تميز عمله وتفرده ، أما التقديم فهو ما يكتبه كاتب آخر وغالباً ما يكون ناقداً مشهوراً ، فيقف من العمل محللًا وشارحاً ، وغالباً مركزاً على ميزات النص الإيجابية ، وملامساً برفق ما فيه من عيوب وإخفاقات))[1] ، وهذا ما جعل الناقد عزالدين إسماعيل يتناوب بين مفردتي المقدمة والتقديم ، فمثلما سبق – حين تناولنا مقدمات عزالدين إسماعيل وتأرجحها بين الذاتية والغيرية في كتبه الثلاثة التي ترجمها (تكتسي لباسين في الوقت نفسه) فهي مقدمات ذاتية كتبها الناقد لترجمته التي تعد عملا خالصا له ، وهي في الوقت نفسه مقدمات غيرية قدم فيها جهود الذين ترجم لهم ، وهذا ما يجعل المقدمات تحمل المعنيين : التقديم والمقدمة ، ولا سيما في المقدمتين الثانية والثالثة .

* * *

ثالثاً : الوظيفة المقدماتية عند الناقد عزالدين إسماعيل

يُعدَّ الاشتغال في الوظيفة المقدماتية أبرز ما تناوله الباحثون في هذا المجال ، فـ((أهم ما ينبغي الحديث عنه بخصوص المقدمات هو الوظائف التي تقوم بها بالنسبة إلى الأعمال التي هي ممهدة لها))[2] ، ذلك أن الخطاب المقدماتي ينطوي على غايات يسعى المؤلف للوصول إليها ، وهذا ما تبرزه الوظائف الموكولة للمقدمات ، فهي تختلف من كاتب إلى كاتب ومن مؤلف إلى آخر ، فوظائف

(1) المقدمة والتقديم للأعمال الإبداعية ، د. محمد عبدالله القواسمة ، صحيفة الدستور الاردنية ، الجمعة 28 ربيع الثاني 1438 هـ ، 27 كانون الثاني 2017 م ، ع : 17786 : صفحة الثقافة .

(2) عتبات النص الادبي بحث نظري ، حميد لحمداني ، مجلة علامات ، ج : 46 ، م 12 ، شوال 1423 ه ، ديسمبر 2002 : 43

المقدمات تختلف ((باختلاف طبيعة كل مقدمة ، كما تكون محكومة باعتبارات مكانية وزمانية وبطبيعة المرسل ، فإذا كان المرسل صاحب النص ، فإن وظيفة مقدمته ستركز على تقديم قراءة تأويلية من جهته ، ، وإذا كان غير صاحب النص ، فإنها ستكون بمثابة مشروع لتأويل نقدي غيري ، في ضمان قراءة حسنة للنص .... ، إنه إمساك بيد القارئ وتوجيهه نحو معرفة لماذا وكيف ينبغي له قراءة النص ، فالمقدمة اذن تمنح للقارئ منهج قراءة المؤلف))[1] ، كما تمنحه رؤية أعمق لدلالات النص ومقاصده الخفية والمعلنة .

وقد ذهب الناقد الفرنسي هنري ميتران إلى أن ((كل خطاب مقدماتي يتكون من مثلث تتقاسمه ثلاثة ضمائر :

أ- ضمير المتكلم المفرد (أنا) يعود على المتكلم في المقدمة ، الذي يمكن أن يكون كاتب النص نفسه أو شخصا آخر يقدمه .

ب- ضمير المخاطب المفرد (أنت) يعود على المخاطب في المقدمة ، أي جمهورها الخاص .

ج- ضمير الغائب المفرد (هو) يعود على النص ، حيث أن كل مقدمة تتحدث عن نصها وتقدمه باعتباره نصا نموذجيا))[2] ، وبذلك تكون الوظيفة التي تضطلع بها المقدمة مبنية على المثلث التواصلي : النص والمؤلف والقارئ ، لتجتمع هذه العناصر في توجيه النص الوجهة التي يريدها المؤلِّف/المترجم لضمان فهم صحيح مبني على تشابك هذا المثلث : النص بمراجعته وإعادة قراءته والوقوف على بعض القضايا التي تثير إشكالات وتساؤلات ، والمؤلف بما يدعو إلى حواره أو نقده أو الدفاع عنه ، والقارئ بما تمنحه المقدمةُ استقطابا تجعله أقرب إلى نص المتن ، وفهما يجعله أكثر استيعابا وإداركا لمقاصد المؤلف.

1- المقدمة وقراءة النص :

(1) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص : 145

(2) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : 77-78

تكمن أهمية الخطاب التقديمي في كونه يحقق خطوتين مطلوبتين تماما لكل عمل : الأولى أن تحاور النص ، وبذلك تكون قد أعدت إنتاجه ، والثانية وهي أن تحاور رأيا في هذا النص وأن تشتبك معه[1] ، لذلك سعى الناقد عزالدين إسماعيل إلى إعادة قراءة متن الترجمة عبر مقدمته ، بغية رسم تصور أولي لمضمون المتن المترجم ، ولإعادة ترتيب بعض المسائل والمفاهيم التي طرحها النص بما يتلاءم مع القضايا التي عالجها مؤلف المتن/ النص في سياقها المعرفي ، محاولا رصد مختلف التصورات التي قدمها النص المترجَم ساعيا إلى تقديم إضاءة لطبيعة الموضوعات ، واستخلاص التعالقات بين مكونات النص التي من شأنها إقامة صورة شمولية لسياق المفاهيم المتداولة .

وكما يرى جيرار جنيت أن إحدى وظائف المقدمات الرئيسة ((ضمان القراءة الجيدة للنص))[2] ، لذا فإن الوظائف الموكولة لمقدمة أي كتاب على كثرتها وتنوعها ، تلتقي جميعها بحكم طبيعة موقعها ونوعية مستهدفيها عند مسؤولية حماية دلالة النص ، تجنبا لما قد يتعرض له من تأويلات مغرضة أو خاطئة من وجهة نظر صاحبه[3] ، تبعا لهذا فإن الناقد عزالدين إسماعيل سعى إلى تقديم ما يعطي قراءة صحيحة لمتنه المترجم عبر التركيز على بعض القضايا التي تجعل من قراءة الترجمة تسير في الاتجاه الصحيح وإعطاء تصور سليم ، بعيدا عن أي انحراف في التصور أو تأويل خاطئ في القراءة ، محاولا الوقوف عند قضايا (العنونة) وإشكالية (المصطلح) ، فضلا عن المداخلات والإضافات والتعليقات التي من شأنها (حماية دلالة الترجمة) عن أي تفسير بعيد عن مضمون المتن .

تصحيح العنوان : يعد العنوان عتبة أساسية في كل عمل نقدي أو إبداعي بما يشكله من عنصر أساسي في توضيح دلالات النص ، ومن هنا فإن علاقة العنوان

---

(1) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكل والوظائف الفنية) ، د. عبد الملك اشهبون ، مجلة عالم الفكر ، ع : 2 ، مج : 35 ، اكتوبر – ديسمبر ، 2004 : 94

(2) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) : 118

(3) العتبات النصية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية : 159

بالمقدمة تبرز عبر اشتراكهما في جوانب كثيرة منها أنهما ينتميان معا من حيث الموقع لصنف العتبات القريبة من النص ، في مقابل العتبات الأخرى البعيدة عنه كالتصريحات والاستجوابات[1] ، لهذا كله كانت أولى الوظائف البارزة في مقدمات الناقد عزالدين إسماعيل في ترجماته هو فض إشكالية العنوان ، وقد جعل جيرار جنيت معالجة إشكالية العنوان من إحدى وظائف المقدمات ، إذ رأى أن التعليقات التي تطال العنوان راجعة إلى ثلاثة أسباب ، إما يكون : ((دفاعا عن الانتقادات الموجهة للعنوان والكتاب عامة ، وإما تبريرا للتغيير الذي حدث للعنوان ... ، وإما تصحيحا للعنوان حرصا من عدم الوقوع في الآراء المغرضة))[2] ، وهذا ما عالجه الناقد في تصحيحه لعنوان أحد ترجماته .

ففي مقدمة ترجمة كتاب (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) أشار الناقد عزالدين إسماعيل إلى أن عنوان الكتاب الأصلي لا يتوافق مع مضمونه ، ولهذا لجأ إلى التعديل في العنوان ((على الرغم من أن الكتاب يحمل اسم (فرديناند دي سوسير) عنوانا له ، بما يوحي أنه سيرة خاصة لهذا الرجل ، تتوازن فيها قصة حياته مع أعماله ومنجزاته من حيث الأهمية ، فإن الواقع العلمي يعلن شيئا خلاف هذا ، على نحو يوحي بإن هذا العنوان أحرى أن يظلم مضمون الكتاب من أن يدل عليه دلالة حقيقية ، ذلك بإن سيرة حياة سوسير الخاصة لم تشغل من الكتاب إلا حيزا محدودا للغاية ، نظرا لإن هذه السيرة كانت عادية وبسيطة وليس فيها مواقف أو أحداث درامية لها خطرها ، أما سائر الكتاب (إن لم نضم إليه جزءا مما ورد في السيرة كذلك) فقد خصص لنشاط سوسير العلمي ، وعلى وجه الخصوص في ميداني علم اللغة الحديث والسيميوطيقا ، على نحو ما اشتملت عليهما محاضراته التي جُمعت وطبعت في كتاب بعد وفاته .... ، ولهذا السبب آثرنا أن نضيف إلى عنوان الكتاب في هذه الترجمة عنوانا جانبيا يبرز المضمون الحقيقي

(1) المصدر نفسه : 155

(2) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) : 122

للكتاب))[1] ، ولهذا كان عنوان الكتاب بعد التعديل (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، الأمر الذي جعل من الناقد المترجم ينبه لهذه المسألة الخطيرة في مقدمته خوفا من أن يوحي العنوان بمضمون آخر غير مضمونه الحقيقي .

تلخيص النص : يعدَّ التلخيص قراءة استعراضية مختصرة للنص الأصلي يعتمد قانون اقتصاد الجهد أو أقل الجهد ، وهو الحل العملي إزاء التراكم المعرفي ، وقد عُرف التلخيص (Abridgment) بإنه تحويل نص مكتوب إلى شكل مختصر تم خلاله التكثيف والحذف مع الحفاظ على المعنى العام ، وعلى طريقة العرض المستخدمة في الأصل[2] ، وهذه الوظيفة من شأنها أن تعطي تصورا شاملا للنص المترجم لكن لا تستطيع النفاذ إلى أعماقه ، بل تكتفي باستعراض يرسم الخطوط العامة لمجمل القضايا المطروحة ، ولهذا فان الناقد عزالدين إسماعيل حرص على أن يقدم في كل كتاب من الكتب الثلاثة التي ترجمها عرضا تلخيصيا ، فـــفي مقدمته لـــ(نظرية التلقي) اكتفى بتلخيصه للكتاب ، أما (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) فإن عرضه للكتاب لم يكن عرضا تلخيصا فحسب وإنما صاحبه حوار وإضافات ، في حين كانت مقدمته للكتاب الثالث والأخير تلخيصا ودراسة ، وقد عرضنا مادة الناقد التلخيصية – بشكل مفصل – في محور البناء المقدماتي .

فض إشكالية المصطلح : حظيت قضية المصطلح وإشكاليته في المنظومة المعرفية بأهمية كبيرة ، إذ إن المصطلح يكون مؤسسا لكثير من النظريات المعرفية ، وموجها لمنظومة المفاهيم التي يكون لها الأثر الكبير في القراءة المنتجة للنصوص النقدية .

وقضية (المصطلح) وإشكاليته من المسائل التي أفرد الناقد حيزا كبيرا في مقدماته ، إذ إن عنوانات الكتب التي ترجمها قائمة على ثلاثة مصطلحات هي التلقي

---

(1) فرديناند دي سوسير (اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، جوناثان كلر ، ترجمة : د. عزالدين إسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 2000 : 7

(2) عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والاتصال العلمي : 130-131

، وعلم العلامات/السيميوطيقا ، والخطاب ، ففي مقدمة كتاب (نظرية التلقي) حاول الناقد أن يفض اشكالية هذا المصطلح مع ما يتداخل فيه من مصطلحات أخرى ، فقد أشار إلى أن ((المقصود بالتلقي هنا هو تلقي الأدب ، أي العملية المقابلة لإبداعه أو إنشائه أو كتابته ، وعندئذ قد يختلط مفهوم النلقي ومفهوم الفاعلية التي يحدثها العمل ، وإن كان الفرق بينهما كبيرا ، حيث يرتبط التلقي بالقارئ ، والفاعلية بالعمل نفسه ، ومن هنا يختلف تاريخ التلقي عن تاريخ الفاعلية ، كما تختلف جماليات التلقي عن جماليات التأثير ، ونظرية التلقي – كما يعرضها المؤلف – تشير إجمالا إلى ذلك التحول في الاهتمام إلى النص والقارئ))[1] ، وتبعا لهذه الإشكالية بين المصطلحين فإن الناقد يسعى للتفرقة بين نظريتين تتعلقان بالمصطلح وهما نظرية التلقي ونظرية استجابة القارئ إذ يقرر أنه ((ينبغي التفرقة بين نظرية التلقي ، التي راجت في النقد الألماني ، والنقد المتعلق بالقارئ/الاستجابة ، الذي راج في أمريكا وفي غيرها ، فنظرية التلقي هي ثمرة جهد جماعي كان صدى للتطورات الاجتماعية والفكرية والأدبية في المانيا الغربية خلال الستينيات المتأخرة ، في حين كان النقاد المتجهون إلى القارئ/الاستجابة آحادا مفرقين لا رابط بينهم ، بل تتباين نظرياتهم وتختلف مناهجهم وفقا لاختلاف اسلافهم ، هذا فضلا عن أن أصحاب النظريتين لم يحدث بينهم اتصال أو تواصل علمي فعّال))[2] ، ومن هنا رأينا أن الناقد قد انتقل من فض إشكالية المصطلح إلى الدخول في النظريتين اللتين انتجتا هذين المصطلحين .

ومما يتصل بقضية المصطلح وإشكاليته إشارة الناقد في مقدمة ترجمته لكتاب جوناثان كلر إلى مصطلحات مترادفة هي (السيميولوجيا) و(السيماتولوجيا) و(السيميوطيقا) ، فمن خلال حديث الناقد عن المؤلف (جوناثان كلر) الذي ذهب إلى استخدام مصطلح (السيميوطيقا) ، رأى عزالدين إسماعيل ((أن سوسير نفسه قد أطلق على هذا العلم اسم (السيميولوجيا Semiology) ، في حين أطلق عليه بولر Buhler اسم (السيماتولوجيا) ولم يكتب لمصطلح بولر إلانتشار ، أما مصطلح

(1) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 9

(2) المصدر نفسه : 9

السيميولوجيا فقد راج في أوربا ، في الوقت الذي راج فيه مصطلح السيميوطيقا في أمريكا ، وفي زمننا الراهن كان مصطلح السيميوطيقا هو الاشيع بصفة عامة ، ..... هل يقول المصطلحان شيئا واحد أو الشيء نفسه ؟ هذا ما يغلب على اعتقاد كثيرين ، وهو على نحو ما اعتقاد صحيح ، ومع ذلك فإن المنشأ المختلف لهما جعل بينهما بعض إلاختلاف ، وإن كان ذلك على مستوى الإجراء والمنهج وليس على مستوى الدلالة))[1] ، وهذا إلاختلاف في اللفظ إن كان يتبعه اختلاف في الإجراء والمنهج فإنه لا يعني اختلافا في الدلالة وهو ما رأه الناقد المترجم .

ويحتل مصطلح (الخطاب) حيزا كبيرا في خطاب الناقد المقدماتي ، إذ أفرد له محورا كاملا من ست وثلاثين صفحة في مقدمة ترجمته للكتاب الثالث الذي ترجمه (مقدمة في نظريات الخطاب) ، محاولا تفكيك هذا المصطلح عبر مستويات كثيرة ، تمهيدا للدخول إلى مضمون المتن الأصلي ، وهو ما أشار إليه الناقد عزالدين إسماعيل بإن ما سيقدمه من تفصيل لمصطلح الخطاب إنما ((يهيئ مساحة أوسع من إلالمام بقضايا الخطاب ومشكلاته))[2] ، وهذا ما يجعلنا ننظر إلى مقدمة الناقد لهذا الكتاب – ولاسيما في المحور الثالث لمقدمته التي خصصها لمصطلح الخطاب – على انها دراسة نقدية وعرض استقصائي لمصطلح الخطاب ونظرياته ، مكمّلا لما كتبته المؤلفة ، ومتمما لطروحاتها التي عرضها الناقد في تلخيصه.

وقد تناول الناقد المترجم في مقدمته عدة قضايا ذات صلة بمصطلح الخطاب ونظريته ، منها : مصطلح الخطاب والنقاد الجدد ، الألسنية والخطاب ، الخطاب والبلاغة ، تاريخية الخطاب والأرشيف الحضاري ، إنتاج الخطاب وتشكيل الذات ، النظم والقواعد المتعلقة بالخطاب ، الخطاب والمعرفة والقوة ، محاولا الناقد عزالدين إسماعيل – ضمن هذه الفقرات – ملاحقة مصطلح الخطاب مفهوما ودلالة في الفكر الغربي والفلسفة الغربية ، مشيرا من بعيد إلى مفهومه في التراث العربي ، إذ سعى

(1) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 9 – 10

(2) مقدمة في نظريات الخطاب ، ديان مكدونيل ، ترجمة وتقديم : د. عزالدين إسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 2001 : 27

إلى إجراء مسح استقصائي لمفردة الخطاب تأصيلا وتحديثا ، مركزا جهده في متابعته لهذا المصطلح في العقود الأخيرة من القرن العشرين وما لحقه من تطور بسبب ما شهده الفكر العالمي من تغيرات وتطورات في الأسس المنهجية وفي الشروط المؤطرة للمصطلح ، مبتدئاً عند مدرسة النقاد الجدد ، ومن ثم جهود البنيويين في الألسنية وفي حقل التحليل اللغوي للخطاب ، لينتقل بعدها إلى مرحلة ما بعد البنيوية وارتباط أشكال الخطاب المختلفة بالبلاغة وما سمي بالممارسات الخطابية ، لينهي مقدمته عند مصطلحي القوة والمعرفة وارتباطهما بمفهوم الخطاب[1] ، مستعينا في كل ما طرحه في هذا المحور بمصادر ومراجع كثيرة وعبر طروحات مفكرين وفلاسفة ، إذ بلغت الاحالات (ستة وستين) هامشا ، بأن يعطي انطباعا بان ما كتبه الناقد عزالدين إسماعيل ليست مقدمة عادية – ولاسيما في هذا المحور – بقدر ما كان دراسة مستقصية ومستفيضة لمصطلح الخطاب بأبعاده المفهومية والدلالية وعبر مروره بالتيارات والاتجاهات النقدية والفلسفية وصولا إلى لحظة صدور المؤَلف الذي ترجمه .

الإضافات والمداخلات : يكتسب الخطاب المقدماتي قضاياه الخاصة من جملة المفاهيم وإلاشكالات التي يعرضها صاحب المقدمة في تناوله وتحليله ، فيصبح نص المقدمة متعالقا مع النص المؤلَّف ، وحاملا من القرائن الموجهة للقراءة ، والمساعدة على الفهم والاستيعاب[2] ، وساعيا إلى إعادة قراءة بعض القضايا بما يتسق ورؤية الكاتب للنص ، عبر إضافات ومداخلات تسعى إلى قراءة سليمة لمتن الكتاب .

وإذا كانت مقدمتا الناقد عزالدين إسماعيل للكتابين الأول والثالث قد خلتا من الإضافات والمداخلات والتعليقات ، لكون المقدمة الأولى كانت استعراضا تلخيصيا ، ولكون الثالثة قد أفرد فيها محورا خاصا لدراسة مصطلح الخطاب ، فإن المقدمة

(1) المصدر نفسه : 27 – 43 ، 58–63

(2) عتبات النص البنية والدلالة : 43

الثانية كانت أقرب للحوار مع متن الكتاب مداخلة ومساءلة ، حوارا وتعليقا ، مستعينا في هذا كله بالإضافات التي اعتمد فيها مرجعيات عدة .

وقد جاءت أغلب هذه الإضافات والمداخلات لتؤدي وظيفة ما يسميه جيرار جنيت بـــ(التصريح بالقصد) إذ أكد انها من بين الوظائف المهمة للمقدمات التي تقدم تأويلا للنص من طرف الكاتب وفيه يعلن عن قصده ، كأن يقول (هذا ما أريد فعله/قصده في الكتاب)[1] ، وقد تخذت هذه الوظيفة أشكالا وصورا عدة ، فمرة تكون مباشرة مستعينا بلفظة (الإضافة) معضدا إياها باستشهادات لنقاد عالميين ، ومثال ذلك : ((وهنا في وسعنا أن نضيف أنه من المسلم به على مستوى العالم أن سوسير يعد أباً للحركة البنيوية ..... وهنا يستعين هارلاند على شرح الفكرة بالرجوع إلى لعبة الشطرنج أيضا التي عول عليها سوسير ....))[2] ، وأحيانا تأتي الإضافة في شكل مداخلة مستعينا بقول لرينيه ويلك ((وهنا يحق لنا أن نذكر أيضا امتداد تأثير تلك التفرقة بين اللسان والكلام إلى مجال التفكير في الأدب ....))[3] ، فضلا عن استعانته بنصوص كثيرة لنقاد آخرين .

وفي بعض الحالات ترد الإضافة على شكل استئناف ((ويمكننا هنا استئناف مناقشة هذه القضية الجوهرية على نحو ما شرحها سوسير نفسه ، ولنبدأ بما يقرره سوسير بصفة مبدئية ....))[4] ، وقد تأتي أحيانا في إضافة شكل مخطط ، كمثل ما قدمه من مخطط المحورين الاستبدالي والسياقي مستشهدا بأمثلة عربية ، ولا سيما أن الإستشهاد بأمثلة من سياق اللغة العربية في التحليل والتعليق ورد أكثر من مرة عند الناقد عزالدين إسماعيل في مقدمته ، ((يشير المؤلف إلى حالات العلامات التي تقوم على أساس المحاكاة الصوتية (مثل كلمة هدهد أو كلمة ثرثر ، أو كلمة قطم

---

(1) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) : 123

(2) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 12 ، 14 ، 19 ، وينظر في استشهادات المترجم في مقدمته بالناقد ريتشاردز هارلاند : 17 ، 20 ، 27 ، 48 .

(3) المصدر نفسه : 21 وقد استشهد المترجم في اضافاته بعدد من النقاد العالميين منهم : لارين : 20 ، 22 ، 23 ، ناعوم تشومسكي : 34 ، موكاروفسكي : 40 ، رامان سلدن : 42

(4) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 29 ، وينظر : 50 ، 51

.... الخ) إذا أردنا مثالا من اللسان العربي))[1] ، ونرى أن هذه الإضافات قصد من خلالها الناقد وضع الكتاب في سياقه المعرفي العام ، إذ إن من بين وظائف المقدمات ما يسميه جيرار جنيت مؤشر السياق ، حيث ان الكتاب يعد جزءا من مجموعة كتب لابد أن تفهم في سياقها العام ، ولهذا السبب يضع الكاتب تنبيهات تؤشر على السياق ، فالمقدمة تغدو على هذا النحو ذو وظيفة سياقية وتنبيهية للمتن[2] ، وهذا كله خاضع لسياق الترجمة التي ينقل عبرها الناقد نصا من لغة إلى لغة فيسعى إلى تقريب قسم من التصورات فيأتي بما يتماشى وسياق اللغة المنقول إليها النص .

2- المقدمة ومؤلف النص :

اتخذت مقدمة الناقد عزالدين إسماعيل في نقده للمؤلف أشكالا وصورا متعددة ، منها التعريف بالمؤلف ، ومنها أيضا التقريظ ، والتبرير والدفاع ، ومنها كذلك الاعتراض والرد ، وسنمثل لهذا في الفقرات الآتية .

التعريف بالمؤلف : حرص الناقد المترجم أن يعرف بالمؤلف في بداية مقدمته ، ففي كتاب(نظرية التلقي) يبدأ المقدمة بقوله ((مؤلف هذا الكتاب ، روبرت هولب Robert Holub أستاذ مساعد بالقسم الألماني بجامعة كاليفورنيا في بركلي ، ومن هنا كانت صلته القوية بالفكر والنقد والأوضاع العامة في ألمانيا ، وكان هذا ما هيأه لإن يؤلف هذا الكتاب عن نظرية التلقي ، التي تعد ألمانية في أصولها وفي نشأتها))[3] ، فالناقد وعبر تعريفه بالمؤلف يسعى إلى أن يربط اشتغاله الأكاديمي بمجال موضوع الكتاب المؤلَف ، لاسيما ان المؤلف أمريكي والنظرية ألمانية ، ومن هنا وجب على الناقد أن ينبه على اشتغال المؤلف في هذا المجال الذي خاضه بأنه متأت من تخصصه الأكاديمي .

أما في مقدمته لكتاب (فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، فإن الناقد أشار إلى أهمية المؤلف ودوره البارز في الاشتغال بمجال علم

---

(1) ينظر المصدر نفسه : 26 ، 15 ، وينظر : 18-19

(2) عتبات (جيرار جينيت من النص الى المناص) : 123

(3) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 9

العلامات عبر الكتاب الذي ترجمه الناقد وعبر كتب اخرى ((مؤلف هذا الكتاب جوناثان كلر ، واحد من المع المشتغلين في زمننا هذا بالمنطقة المشتركة بين اللغة والأدب ، وعلى وجه الخصوص بما يسمى علم العلامات (السيميوطيقا Semiotics) ، وكتابه الشامل الموحي المسمى (اقتفاء اثر العلامات The Persuit Signs) ، دليل واضح على هذا إلاهتمام ، ولان عالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسير يعزى إليه التبشير بهذا العلم ، وتحديد آفاقه المبدئية ، فقد انصرفت عناية كلر إلى جهود هذا العالم وإضافاته الحاسمة في المجالين اللغوي والسيميوطيقي على السواء ، ومن هنا كان هذا الكتاب))[1] ، ولم يكتف الناقد في الإشارة إلى أهمية المؤلف واشتغاله بمجال علم العلامات وإنما أكد على أن تأليفه في مضمون الكتاب المتعلق بدي سوسير إنما يأتي من أن سوسير كان أول من ألمح إلى هذا العلم ووضع خطواته المبدئية التي فتحت الآفاق للدارسين من بعده .

في حين أننا لا نجد اي تعريف – ولا تلميح – إلى مؤلفة الكتاب الثالث الذي ترجمه الناقد عزالدين إسماعيل(مقدمة في نظريات الخطاب) وهي ديان مكدونيل ، ولا نعثر على اي مسوغ جعل الناقد يهمل التعريف بهذه المؤلفة .

التقريظ والثناء : أما حديث الناقد عن جهود المؤلف تقريظا ومدحا ، فإنه اتخذ أشكالا وصورا عدة ، منها إلاشادة بموضوع الكتاب ((ولا شك في أن وصف تفكير سوسير نفسه تكون له حقا أهمية أولى في كتاب يؤلف عنه))[2] ، ومنها تقريظ الناقد لجهود المؤلف ، وعادة ما يرد في خاتمة مقدماته ، كمثل خاتمة مقدمته لكتاب (نظرية التلقي) التي كانت بمثابة تثمين لجهود المؤلف ، إذ يقول : ((وإذا كان المؤلف هنا قد وُفق في صياغة هذه النظرية كما تمثلت في الفكر النقدي الألماني المعاصر بروافده المختلفة ، فإن النظرية نفسها تظل – في تصوري – قابلة للصياغة وإعادة الصياغة من منظورات فكرية وثقافية مختلفة))[3] ، وإشارة الناقد إلى قابلية

(1) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 7

(2) المصدر نفسه : 8

(3) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 23

النظرية وانفتاحها على منظورات مختلفة هو في الحقيقة إعلاء من قدر المؤلف وجهوده في محاولة استيعاب نظرية متشعبة ومتمددة فكريا وثقافيا ، وهذا نفسه ما ختم به مقدمته للكتاب الثاني ، إذ قال في نهاية الخاتمة : ((وقبل أن ننهي هذه المقدمة يحق لنا أن نقدر الجهد الذي بذله المؤلف فيما عرضه من حياة سوسير وعلمه واسهامه في تغيير توجهنا الفكري ، لا في ميدان الدراسات اللغوية فحسب ، ولا في ميدان السيميوطيقا فحسب ، بل في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية كذلك))[1] ، فضلا عن ذلك فقد تأتي عبارات الثناء والمدح احيانا بصورة عابرة في ثنايا عرضه لمادة الكتاب ، الموضوع ما يعبر عن حالة القبول والرضا لما قدمه المؤلف ، كمثل قوله((.... عرضها المؤلف عرضا وافيا ومقنعا))[2] ، وقوله : ((وقد رأى المؤلف – وهو على حق – ضرورة النظر في بعض الأمور ....))[3] ، وهذه الصور تعطي انطباعا بأن الناقد يسعى إلى إضفاء الشرعية على نصوص المؤلف التي تصل أحيانا إلى نبرة الدفاع ومصادرة ما قد يتعرض له المؤلف من انتقادات وهو ما كان في هذه المقدمات .

فإذا كان من وظيفة المقدمات أحيانا ((مصادرة الانتقادات التي قد تمس الكتاب وبذلك تتحول إلى خطاب دفاعي حجاجي))[4] ، فإننا نجد الناقد/المترجم يسعى إلى الدفاع عن المؤلف ومحاولة إعطاء المسوغات كمثل قوله : ((ومع أن المؤلف قد حقق إلاطار البحثي الذي رسم حدوده لهذا الكتاب على هذا النحو فإنه تظل هناك بعض الفجوات التي تركها قاصدا من أجل الوفاء بموضوعه في هذه الحدود ، ولكي يظل الاهتمام مركزا على فكر سوسير نفسه في الدرجة الأولى من حيث إنه موضوع الدراسة))[5] ، وقوله : ((وربما بدا للقارئ أن هذه الملاحظة العامة المتعلقة بدور سوسير في تاريخ العلم كان أولى بها أن ترد في الفصل الأول من الكتاب ، الذي

(1) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 50
(2) المصدر نفسه : 16
(3) المصدر نفسه : 32
(4) مدخل الى عتبات النص : 52
(5) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 11

خصص لسيرة سوسير العلمية ، ولكن الواقع أن هذه الملاحظة لم تكن لتصبح مفهومة كما ينبغي إلا حيث أوردها المؤلف في ختام كتابه ، بعد أن تم استعراض أركان ذلك العلم الجديد))[1] ، ونرى أن هذه النبرة الدفاعية من الناقد ليس الغرض منها هو تمجيد مؤلف الكتاب أو الإعلاء من شأنه ، بقدر ما تكون توضيحا لطروحات النص والكشف عما قد يخفى من الدلالات التي تضيع في خبايا سياق القضايا التي يطرحها الكاتب .

الاعتراضات والردود : أحيانا يسعى الناقد إلى الاعتراض على المؤلف محاولا الاستدراك عليه في بعض المعالجات ، ففي حديث الناقد عن نشأة علم العلامات وأن مؤلف الكتاب حصر نشأة هذا العلم عند سوسير ، فان الناقد يعترض على هذه القضية ، بل إن الناقد يسعى الى الرد على المؤلف من كتاب للمؤلف نفسه غير الذي ترجمه الناقد عزالدين إسماعيل ، إذ يقول ((ويحق لنا هنا ... أن نذكر بعض الحقائق المتعلقة بالنشأة ذاتها ، إذ يبدو أنه ليس من الإنصاف كل الإنصاف أن تعزى نشأة هذا العلم إلى سوسير وحده ، وإن كانت الظروف قد هيأت لشيوع هذا التصور ... وسنرجع في استيفاء هذا الجانب إلى المؤلف نفسه ، ولكن في كتابه الآخر الثمين المسمى اقتفاء إثر العلامة))[2] ، وهذه القراءة القائمة على الأخذ والرد إنما تعطي لمقدمة الناقد عزالدين إسماعيل لترجماته طابعا نقديا يتخطى القراءة التلخيصية المبنية على العرض والتقديم إلى كونها قراءة استنطاقية تسعى إلى مراجعة ما كتبه المؤلف الأصلي للكتاب وإعادة إنتاج نصه بما يراعي البنية العامة لما طرحتها الدراسات الثلاث ، وبما يتسق مع شروط انتاج النص حسب ما يراه الناقد المترجم عزالدين إسماعيل .

3- المقدمة واستقطاب القارئ :

تمثل المقدمة عتبة أساسية يحاول عبرها الكاتب التوجه إلى المتلقي بغية الكشف عن أسرار التعامل مع المتن المؤلَف ، وإرشاده نحو الطريقة الصحيحة لقراءة هذا المتن

(1) المصدر نفسه : 48-49

(2) المصدر نفسه : 36-37

، وتذليل الصعوبات التي قد تواجهه ، بما يرسم منهجا واضحا لاستيعاب النص وتناوله بالصورة التي تؤمّن قراءة صحيحة منتجة ، ومن هنا يجب النظر إلى ((مفهوم الاستقطاب بالمعنى الذي يتجاوز الإغراء والاستدراج التجاري إلى نوع آخر من الاستقطاب ، يتعلق بتغيير الخلفية النظرية التي يحاول المؤلف تمرير تقاطيعها العامة من خلال هذه المقدمة))[1] ، بما يجعلنا ننظر إلى أن المقدمة خطاب إشهاري لمضمون الكتاب يحاول الكاتب التبشير للقارئ بجدة الموضوع وأهميته ، مثلما يبشّر بجدة وأهمية الترجمة التي قام بنقلها المترجم إلى لغة القارئ كما في بحثنا ، فضلا عن ذلك فإن الخطاب المقدماتي يعد حلقة وصل بين المؤلف/المترجم والقارئ فيكون المعبر الذي تمر عبره الوظيفة التوجيهية التي يسعى إليها المؤلف .

إن المقدمة تبعا لذلك تغدو بمنزلة بوصلة موجهة يهتدي بواسطتها القارئ إلى القراءة الجيدة التي تجنبه شطط التأويل وسوء التقدير ، وبهذا المعنى يغدو دور التقديم الأول هو تدشين النص وافتتاحه وكل تدشين يعني بالضرورة التعريف بهذا النص ، من حيث هو ميثاق تواصلي من نوع خاص يجري التوقيع عليه بين الكاتب والقارئ ، هذا الميثاق الضمني تحدد بنوده كيفيات تلقي النص والتعامل معه في مستويي القراءة والتأويل ، ولهذا تصبح عملية القراءة مشروطة بإدراج المتلقي بطريقة غير مباشرة في النسق المعرفي العام للكتاب ، الذي تشكل المقدمة أحد مداخله الأساسية[2] ، من هنا كانت المقدمات تؤدي دورا بارزا في التمهيد لاستقبال النص المؤلَف حيث إنها تُعدَّ ((مداخل مؤطرة لاشتغال النص وتداوله لإنها تحدد نوعية القراءة ، بما لها من تأثير مباشر على القراء ، فهي تضع النص منذ البداية في إطار مؤسسة ثقافية وأدبية ، يكون لها في الغالب دور حاسم في توجيه القراءة والتأثير على القراء))[3] ، وقد كان الناقد عزالدين إسماعيل مدركا أهمية القارئ في تلقي النصوص المترجمة ، ولهذا كانت مقدماته مراعيةً لهذا الدور الذي يضطلع به المتلقي في الاستقبال ، مما جعل مقدمات الترجمة تأخذ حيزا كبيرا في التوجه نحو إرشاد القارئ وتوجيهه لكي تضمن قراءة

(1) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكل والوظائف الفنية) : 92

(2) المصدر نفسه : 92

(3) عتبات النص الادبي بحث نظري ، حميد لحمداني ، مجلة علامات ، ج : 46 ، م 12 ، شوال 1423 ه ، ديسمبر 2002 :23

سليمة للنص المترجم من جهة ، مثلما يسعى إلى التبشير بالموضوع المترجم وأهميته في المنظومة المعرفية.

وقد تركزت عناية الناقد عزالدين إسماعيل بالمتلقي في مقدماته بأربع وظائف :

بيان الأهمية المعرفية للكتاب : يرى بعض الدارسين أن من بين وظائف الخطاب المقدماتي هو السعي إلى تنبيه القارئ وتوجيهه وإخباره بأصل الكتاب وظروفه ومراحل تأليفه ومقصد مؤلفه وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه باستراتيجية البوح والاعتراف ، ويمكن عدّها الوظيفة المركزية[1] ، وقد حرص الناقد عزالدين إسماعيل على هذه الوظيفة في مقدماته الثلاث ، يقول في مقدمة ترجمته لكتاب (نظرية التلقي) : ((ها هو الكتاب الذي رأينا أن ننقله إلى العربية ، لما له من أهمية تاريخية ونظرية وعملية ، فإذا كان صاحبه قد كتبه بالإنجليزية لكي يتيح لأبناء هذه اللغة أن يتعرفوا الفكر النقدي الألماني المعاصر ، والنموذج النقدي الجديد الذي طوره هذا الفكر متمثلا فيما سمي بنظرية التلقي ، فإن ما قصدت إليه هذه الترجمة هي إتاحة هذا الفكر وهذه النظرية للقارئ العربي كذلك ، في وقت مقارب نسبيا))[2] ، ولا يقتصر الناقد المترجم على إخبار القارئ أهمية موضوع الكتاب بل يقوم بدور اشهاري على اختياره لهذا الكتاب تحديدا ، إذ يرى أن ((القيمة الخاصة للكتاب لها كذلك وزنها ، إذ يعده البعض أفضل عرض متاح حتى الآن لنظرية التلقي ، ويرى انه المرجع المعتمد لكل من يهتم بهذه النظرية في الفكر الألماني))[3] ، ثم يتوجه إلى أهمية تعرف القارئ العربي للطروحات التي يقدمها النص المترجم ((ولست أشك في أهمية تعرف القارئ العربي هذه النظرية ، لإن الاشتغال بدور القارئ أو المتلقي في إطار النظر النقدي العربي الحديث والمعاصر لم يكد يبدأ ، وسيكون هذا الاشتغال بمثابة مدخل جديد إلى نظرية الأدب ، ينير جوانب منها ظلت حتى الآن تعاني التجاهل وإلاهمال))[4] .

فالناقد يحاول أن يعطي لعمله سبقا معرفيا في ترجمته لدراسةٍ في نظرية التلقي ، فعلى الرغم من ترجمة العشرات من الدراسات في هذا الموضوع من نقاد معاصرين

(1) مدخل الى عتبات النص : 51

(2) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 23

(3) المصدر نفسه : 23

(4) المصدر نفسه : 23

للناقد عزالدين إسماعيل – قبل أو بعد صدور هذا الكتاب – إلا أنه في الحقيقة كانت ترجمته ناجزة ومتميزة ، فضلا عن أن اختيار ترجمته لهذا الكتاب كانت غاية في الأهمية ، وهذا ما أكده بعض الدراسين إذ عدَّ هذا الكتاب مع كتابين اثنين صدرا ((أهم ما ترجم إلى العربية عن نظرية التلقي .... كتاب روبرت هولب (نظرية التلقي ، مقدمة نقدية) كتاب مهم لسمعة مؤلفه الطيبة في الكتابة عن الموضوع في هذا الكتاب))[1] ، وهذا ما يؤكد حقيقة ما ذهب إليه الناقد عزالدين إسماعيل في أهمية اختياره لهذا الكتاب ونقله إلى اللغة العربية لاسيما انه أشار إلى أهمية هذا النقل – في مكان آخر – من ((أن الفكر النقدي العربي في جملته قديما وحديثا ينطوي على رؤى وأفكار يمكن أن تنتظم حول نشاط التلقي الأدبي أو الفني ، وأن تُنمى لتصنع في النهاية إطارا نظريا خاصا ، يكون بمثابة تطوير أو إضافة إلى النظرية العامة ، ويكفي هذا مبررا للإقدام على ترجمة هذا الكتاب))[2]

أما المقدمة الثانية للناقد في ترجمته لكتاب (فرديناند دي سوسير/أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات) ، فإن أشارته لإهمية الكتاب وسبب اختيار موضوعه للترجمة كانت من بعيد ، إذ ألمح إلى سببين اثنين ، الأول : هو أن تأثير فكر سوسير ما زال ممتدا حتى اليوم ، والسبب الثاني أن هذا الفكر السوسيري لم يوظف في منطقتنا العربية التوظيف الكامل على مستوى الدرس اللغوي فضلا عن الدراسات الاجتماعية وإلانسانية الأخرى[3] ، وهذا ما أعطاه مسوغا لاختيار هذا الموضوع وترجمته للكتاب.

وتأتي إلاشارة إلى الأهمية المعرفية لكتاب (مقدمة في نظريات الخطاب) مقتصرة على كلمة الناشر الأصلي للكتاب ، إذ ينقل المترجم ما ورد في صفحة الغلاف الأخير قوله : ((هذا أول تقديم نقدي لنظريات الخطاب التي طورها فوكو وألتوسير وبيشو وهندس وهيرست ، وفي الوقت نفسه – من منظور الناشر نفسه – أول استعراض وتقديم لمنطقة في نظرية النقد بالغة التعقيد ، هي المنطقة الواقعة في القلب من

(1) قراءة الآخر/قراءة الانا ، نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد الادبي العربي المعاصر ، د. حسن البنا عزالدين ، سلسلة كتابات نقدية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط : 1 ، 2008 : 103-104

(2) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 23

(3) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 11

المجالات الدائرة حول الشكل والمعنى وإلايديولوجيا والنقد الأدبي والعلوم إلانسانية))[1] ، وبهذا تتضح الأهمية المعرفية لهذا الكتاب عبر وجهة نظر الناشر الذي اكتفى الناقد المترجم به .

صعوبات القراءة والتلقي : يطمح الناقد عزالدين إسماعيل إلى تذليل ما قد يواجهه المتلقي في قراءته للكتب التي ترجمها من صعوبات لاترجع إلى طبيعة الترجمة بقدر ما يكون سبب هذا التعقيد نص المتن المترجم نفسه ، إذ يقول في مقدمته لكتاب (نظرية التلقي) :

((وقد يجد القارئ بعض الصعوبة في قراءة الكتاب ، لا في الترجمة فحسب بل في الأصل كذلك ، والسبب في ذلك راجع إلى أن المؤلف يسرف أحيانا في الصياغة التجريدية لأفكار الآخرين التي يعرضها ، كما أنه يدخل في سياق عرضه جملا أو أجزاء من جمل من كلامهم منتزعة من سياقها الأصلي فتكون ناتئة في بعض الأحيان وتتطلب إعمال الفكر ، هذا في الوقت الذي يحرص فيه المؤلف على أن يكون موقفه النقدي من الأفكار التي يعرضها فيختلط العرض عندئذ بهذا النقد ، من أجل هذا تتطلب قراءة هذا الكتاب صبرا وإعمالا للفكر ، وعند ذاك يتبين القارئ تماسكه الفكري وإحكامه المنهجي ، وفي هذا إلاطار سوف تتكشف دلالة بعض المواضع الجزئية التي بدت مبهمة للوهلة الأولى))[2] ، إن الناقد في هذه الفقرة يعترف بصعوبة بعض النصوص المترجمة ويوعز صعوبة بعضهما إلى النص الأصلي ، إلا أنه في نص آخر يفصل في هذه الصعوبات بأنها راجعة إلى ((منهج التناول الذي يقوم في الكتاب على التشعيب والتفريغ ، ويتطلب لذلك يقظة شديدة من القارئ لكي يتابع حركة التفكير في شيء من الطمأنينة ، كما يتمثل في اللغة الكزة التي يغلب عليها طابع التجريد ، والتي يكثر استخدامها في مثل هذه الكتب ، التماسا للتركيز الشديد من جهة ، واعتمادا على الخلفية المعرفية لدى القارئ من جهة أخرى))[3] إلا أنه يوجه القارئ نحو التأني والصبر وإعمال الفكر ، حتى يتبين ما قد صعب وتعقد ، وما كان مبهما ، وهذا في حد ذاته محاولة من الناقد/المترجم تطمين

(1) مقدمة في نظريات الخطاب : 11

(2) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 23 –24

(3) مقدمة في نظريات الخطاب : 7

القارئ إلى أن هذه الصعوبة عرضية ، وفي الوقت نفسه تذليل للعقبات التي قد يواجهها هذا القارئ بما يضمن استقطابا للنص المترجم ، جاعلا من مقدماته طريقا سالكا إلى القراءة الصحيحة التي تضمن مقاصد الكتاب ومضامينه .

ومن هنا فإن الناقد يقدم التبريرات لكتابة مقدماته في أن وظيفتها الأساسية هو تذليل معوقات القراءة أمام المتلقي ، إذ يقول : ((وربما ساعد المخطط العام لحركة الفكر في الكتاب كما عرضته هذه المقدمة على جعل القارئ مطمئنا إلى مواطئ قدميه حيثما تقدم في قراءة الكتاب ، ليجني أخيرا الثمرة التي توسمتها حين أقدمت على تحمل عبء هذه الترجمة ومسؤوليتها))[1] ، فضلا عن وظيفة ثانية يراها الناقد لكتابة هذه المقدمات للقارئ تتمثل في ((جدة الموضوع الذي يعالجه الكتاب إجمالا وتفصيلا ، وذلك إذا نحن أخذنا في الحسبان القطاع العريض من القراء الذين يجدون للموضوع مكانا في دائرة أهتمامهم ، وهذا ما اقتضى مقدمة تمهدهم للدخول إلى الموضوع ، وتحدد لهم معالم الآفاق الفكرية التي سيواجهونها في الكتاب ،))[2] ، وفي الحالات جميعها فإن غاية الناقد في مقدماته هو أن ((يصبح القارئ قادرا على إدراك جملة العلاقات التي تصنع الإطار العام للخطاب))[3] ، و((أن يجعل الصورة أكثر وضوحا لدى القارئ العربي))[4] ، وعندئذ فان ((قارئ الكتاب نفسه قمين بأن يدرك في اثناء قراءته وعند الفراغ منها المبررات التي تعطي هذه المقدمة شرعيتها ، وتغفر لها هذا الطول لما اشتملت عليه من عرض منظم لمحتوى الكتاب من جهة ، ومن حديث إضافي))[5] ، وهذا ما أكد عليه فيليب لوجو حين رأى أن المقدمة ((تصنع ميثاقا تمهيديا يعطي للنص بعده التداولي ، وتنشيء له محيطا تنتظمه إيضاحات وشروح يعسر على القارئ العادي الإحاطة بها))[6] ، لتتم بذلك الوظيفة التواصلية التي تحقق فعل التواصل بين المنشيء والقارئ منتجة قراءة مثمرة للنص .

---

(1) نظرية التلقي مقدمة نقدية : 23-24

(2) مقدمة في نظريات الخطاب : 7

(3) المصدر نفسه : 63-64

(4) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 11

(5) مقدمة في نظريات الخطاب : 63-64

(6) النص الموازي آفاق المعنى خارج النص : 148

وعلى الرغم من أن الناقد يلقي اللوم على مؤلف النص الأصلي بسبب صياغته أو صعوبة اسلوبه أو عرضه للمادة ، ويجعل من مقدمته وسيطا للقارئ لأجل تقديم النص المترجم في صياغة واضحة ومترابطة في نسق فكري متصل ، واستكمال ما لم يدخله المؤلف في دائرة عنايته ، إلا أنه يؤكد على مسألة حساسة جدا ، في ان إضافته هذه لا تعني قصورا بالمؤلفين ، وإنما هي إضافة لإجل القارئ العربي وما يبدو ضروريا له[1] ، وهذا ما يؤكد أن الالتفات من الناقد إلى هذه المسألة وغيرها إنما هو إقرار منه بأن المتلقي عنصر فاعل وأساسي في عمله الترجمي ، وأن مشاركة الناقد لهموم المتلقي وإيمانه بدوره في عملية القراءة هو استقطاب لإجل ضمان نجاح هذه الترجمة ، وجانب أساسي من نجاح منهجه ووصوله إلى درجة التواصل المعرفي المشترك .

وهذا في الحقيقة يؤكد أن المؤلف وعبر مقدمته ((يسعى باستمرار إلى فرض علاقة متميزة مع قارئه ومتلقيه سواء كان فردا أم جماعة أم رمزا ، وتبدأ هذه العلاقة بنوع من استدراج المتلقي لكسب موافقته للتصديق بالحكم وقبوله ، لتنتهي في الأخير بمحاولة إخضاعه وإذعانه ثم انقياده وذلك لإن إيمان القارئ بحسن نية المؤلف شرط أساسي لنجاح منهجه وبث خطته))[2] ، وهو ما حرص عليه عزالدين إسماعيل في مقدماته التي اتجهت نحو تحقيق الوظيفة التواصلية مع المتلقي .

تحديد نوع القارئ :

تسعى بعض المقدمات إلى تعيين قرائها الذين ترغب في وصول النص أليهم ، كما تحاول في الوقت نفسه تجنب نوع من القراء لا ترغب فيهم ، سواء تم التعبير عن ذلك صراحة ام ضمنا ، فإن كل كاتب يحمل فكرة محددة عن نوعية القراء الذين يتوجه إليهم بكتابه ، وأيضا عن أولئك الذين يتمنى تجنبهم[3] ، ومن هنا يسعى الناقد عزالدين إسماعيل في مقدماته إلى تحديد نوعية القارئ الذي يكون مهيئا لقراءة الترجمة ، فيصنف القراء إلى قارئ ملم بأطراف القضايا المطروحة في الكتاب ، وقارئ محدود الإلمام بهذه القضايا ، إذ يرى في مقدمته لكتاب(فرديناند دي سوسير / أصول اللسانيات

(1) ينظر : فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 11 ، مقدمة في نظريات الخطاب : 7-8

(2) مدخل الى عتبات النص : 50

(3) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر : 79-80

الحديثة وعلم العلامات) أن ((الإشارات التي أوردها المؤلف من هذا النوع قد تكون كافية لدى قارئ ملم بأطراف القضايا التي طرحها الفكر اللغوي والنقدي الحديث والمعاصر ، ولكنها لن تكون كذلك لدى قارئ محدود الإلمام بهذه القضايا)) ، ولهذا ينزل إلى مستوى القارئ الثاني(محدود الإلمام) فيجعل مقدمته متاحة لهذا النوع من القراء ((ومع أنها في صورتها المختزلة هذه قد تكون مغرية للقارئ بالتوسع في قراءته لتحصيل المعرفة اللازمة فقد رأينا – تيسيرا على القارئ في الوقت الراهن – أن نضيف هنا أحيانا بعض المعلومات التي تجعل الصورة أكثر وضوحا فيما يتعلق ببعض الجوانب التأصيلية من جهة ، وبعض وجوه التأثير السوسيري في المراحل التطورية المختلفة في الفكر الغربي المعاصر من جهة أخرى))[1] ، فالناقد يحاول هنا استدراج القارئ إلى مفاتيح القراءة الصحيحة عبر مقدمته التي يجعل منها معبرا إلى فضاء النص ، محاولا تغيير مقدمته من مقدمة محايثة للنص إلى عنصر وظيفته النفاذ إلى أعماق النص ، عبر خطاب كاشف لأنساق ترجمته وما تتضمنه من طروحات معرفية جديدة ، لا يستطيع المتلقي العادي أن يستوعبها بدون خطاب الناقد المقدماتي .

طريقة قراءة المقدمة :

من إلاشكاليات التي تعرضت لها المقدمات عند الدارسين هي وجودها من حيث القبول والرفض ، أو وجودها من حيث مكانها قبل النص أو بعده ، فقد رأى بعضهم ان المقدمات قد تضع ((حاجزا بين القارئ والكتاب أو حدا من حرية قراءته على الأقل))[2] ، وربما تكون عتبة قد تشوش على طبيعة النص ووشاية – بطريقة غير مباشرة – بأسرار النص المركزي الجوهرية[3] ، وهذا الرفض متأت – حسب ما يذهب إليه جيرار جنيت – من أنها تؤسس للحظة تواصل غير متكافئ ، ومن ثم أعرج ، ما دام الكاتب ، يقترح فيها على القارئ التعليق القبلي على نص لم يعرفه بعد ، لذلك فإن العديد من

(1) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 8-9

(2) مقدمة محمد بنيس لكتاب الاسم العربي الجريح ، د. عبدالكبير الخطيبي ، منشورات الجمل ، بغداد ، بيروت ، 2009 : 5

(3) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكل والوظائف الفنية) : 89

القراء يفضلون قراءة المقدمة بعد النص ، أي بعدما يعرفون عن أي شيء يدور[1] ، وهذا الأمر أدى إلى رفض المقدمات – عند بعضهم – وعدم قبولهم لها ، بوصفها عتبة يلج عبرها القارئ إلى النص ، حاملا معه اقتراحات المؤلف التي تكون بمثابة المصادرة على حرية المتلقي وإساءة حقيقية لإمكانيته المعرفية .

أما من يؤمن بالمقدمة عتبةً أساسيةً للنص فإنه لا يرى فيها إلا خطابا مساعدا للقارئ ، وإن مقدمة المؤلف ((لا تصادر على حرية القراءة ، ولا تلزمهم برؤية قبلية حول الموضوع ، إذ إن لكل قارئ تفسيره الخاص للعمل ، سواء مما تطرحه الرواية أم المقدمة ، وهذا ما ينفي أمر مصاردة حرية القارئ في إعادة إنتاج النص بطريقته الخاصة بعيدا عن سلطة المقدم وعما كتبه ، ما دامت العملية إلابداعية الحداثية تعتمد على ذكاء القارئ ومخيلته التي تمكنه من التحرر من سطوة كل مقدمة ، بمخالفتها ومعارضتها ومحاورتها في الآن نفسه))[2] ، ومن هنا فإن المقدمة قرئت من القارئ أم لم تُقرأ ، وسواء قرئت قبلا أم بعدا فإنه يبقى غير ملزم بشيء من ذلك وتبقى المقدمة خيارا متاحا له في كل الأحوال .

والناقد عزالدين إسماعيل لم يكن بعيدا عن هذه إلاشكالية ، بل كان حريصا على أن يكون خطابه المقدماتي مؤديا وظيفته بما يحقق تواصلا معرفيا مع قارئه ، ولهذا فإنه يضع منهجا لقراءة هذه المقدمات ، ((فمن حق قارئ هذا الكتاب أن يقرأ هذه المقدمة في البداية ، ومن حقه كذلك أن يقرأها بعد أن يفرغ من قراءة الكتاب ، وفي الحالة الأولى يرجى منها أن تضع القارئ في المناخ الفكري العام للكتاب عبر استعراضها المسهب نسبيا لمحاوره الفكرية الأساسية ، وما اشتملت عليه من إلاضافات التي تعين على اكتمال الصورة والتصور ، وفي الحالة الثانية يمكن أن تقوم هذه المقدمة بمهمة تأكيد الخطوط الفكرية العامة للكتاب ، وتثبيت ما طرح فيه من قضايا ومشكلات ، وما أثير فيه من جدال ومنازعات ، وفي كلتا الحالتين لا يخرج الهدف الأخير منها عن تحقيق فائدة مرجوة للقارئ))[3] ، بهذا يعطي الحرية للقارئ في كيفية قراءة مقدماته ، ولا يلزمه

(1) العتبات النصية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية : 166 ،وينظر:عتبات(جيرار جينيت من النص الى المناص):124

(2) خطاب المقدمات في الرواية العربية(التنوع والتشكل والوظائف الفنية) : 88 ، 90

(3) فرديناند دي سوسير / اصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات : 53

بدافع الإكراه أو الإلزام ، أو الواجب والفرض ، بل يفتح له أفقا واسعا للتعامل مع هذه المقدمات ، ويخرج من إشكالية ما قد يفسره بعضهم بالإملاءات الذي تسبق النص المترجم والتي تكون أحيانا مؤسسة على تفسيرات مسبقة للنص ، وبهذه الاستراتيجية يكون خطاب الناقد عزالدين إسماعيل المقدماتي مبينا على مراعاة بعده التداولي ، وموجها للعملية القرائية التي تطمح للوصول إلى مقصدية الكاتب ، بصورة تشتبك مع هموم المتلقي وما قد تهيئه لاستقبال النص المترجم .

References

_ Kamal Arafat Nabhan, The Genius Of Arabic Authorship, Text Relations And Scientific Communication, Center for Islamic Civilization Studies and Special Projects Management at the Library of Alexandria, 2015, 173.

_ Abbas Arhila, Introduction To The Book On Islamic Heritage And Obsession With Creativity, The Arab Foundation for Thought and Creativity, 2017, 58.

_ Abd al-Rahman al-Tamara, The Question Of Translation: From the Point of Conversion to the Circle of Acculturation, the Moroccan Journal of Thought and Criticism, 2007, 86.

_ Abd al-Razzaq Bilal, An Introduction To The Thresholds Of The Text: A Study in Introductions to Ancient Arab Criticism, East Africa and Morocco - Casablanca, East Africa Beirut - Lebanon, 2000, 16.

_ Abdel-Fattah Al-Hajmari, Thresholds Of Textual Structure And Significance, Al-Rabita Publications, Casablanca, Morocco, 1996, 43.

_ Abdel-Haq Belabed, Gerard Genet, From The Text To The Manas, Arab House of Science Publishers - Beirut, Al-Ikhtif Publications - Algeria, 2008, 57.

_ Abdel-Kabir Al-Khatibi, Literature And Strangeness By Abdel-Fattah Kilito, Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, 2006, 8.

_ Abdel-Malik Ashboun, Discourse Of Introductions In The Arabic Novel: Diversity, Formation, and Artistic Functions: World of Thought Magazine, 2004, 94.

_ Ahmad Al-Munadi, The Parallel Text: Horizons Of Meaning Outside The Text, Alamat Magazine, 2007, 145.

_ Ahmed Mukhtar Omar, Lexicon Of Contemporary Arabic Language, World of Books, Cairo, Egypt, 2008, 1786.

_ Diane McDonnell, An Introduction To Discourse Theories, Academic Library, Cairo, Egypt, 2001, 27.

_ Ferdinand De Saussure, The Origins Of Modern Linguistics And The Science Of Signs , Jonathan Keller, Academic Library, Cairo, 2000, 7.

_ Hamid Al-Hamdani, The Thresholds Of The Literary Text, A Theoretical Research, Al-Alam Magazine, 2002, 43.

_ Hassan Al-Banna Ezzedine, Reading The Other Reading The Ego, The Theory Of Reception And Its Applications In Contemporary Arab literary Criticism, a series of critical writings, the General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 2008, 104.

_ Hatem Obaid, In The Analysis Of Discourse, the Jordanian Dar Ward for Publishing and Distribution, 2013, 60.

_ Majdi Wahba and Kamel Al-Mohandes, A Dictionary Of Arabic Terms In Language And Literature, Lebanon Library, Beirut, 1984, 380.

_ Muhammad Abdullah Al-Qawasmeh, Introduction And Submission To Creative Works, Jordanian Al-Dustour Newspaper, 2017, 177.

_ Nadia Hanawi Saadoun Al Mushar , Criticism In Submission To Translated Critical Books, Jordanian Al-Dustour Newspaper, 27, 2017, 23.

_ Robert Holb, Introduction To The Book, The Reception Theory, a Critical Introduction, The Cultural Literary Club, 1994, 2.

_ Shuaib Halifi, The Identity Of Signs In Thresholds And The Construction Of Interpretation - Studies in the Arabic Novel, House of Culture, Casablanca, Morocco, 2005, 53.

_ Youssef Al-Idrisi, Thresholds Of The Text In Arab Heritage And Contemporary Critical Discourse, Arab House for Science Publishers, Beirut, Lebanon, 2015, 55.

Discourse of Introduction of the critic Ezzudden Ismael

Asst.Prof.Dr.Raid Foad Talib*

Abstract

The translation of introduction from one of the topics that still lacks studies, and those who dealt with the introductions focused their efforts on creative introductions and critical introductions, as for the study of the introductions to Arabic translations, they are very few, and this research seeks to study the introductions of the critic Ezzuddin Ismael to his translations, through what he presented of issues and theses in these introductions.

key words : Discourse , Thresholds , Introductions , criticism, Ezzuddin Ismael

***Asst. Prof. Department of Arabic Language / College of Arts / University of Basra.**